(فهرسة الجزء الاول من كتاب المستطرف)

(تمت)

الجزء الأول من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف
تأليف الإمام الأوحد العالم العلامه
اللوذعي الفهامه الشيخ شهاب
الدين أحمد الابشيهي
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير الحي العليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وأمير صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير ويمحو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير *(أما بعد)* فقد رأيت جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا مجلدات في التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار وألفوا في ذلك كتبا كثيره وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب محصوره فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف وسميته المستطرف في كل فن مستظرف واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الاخيار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديده من منتخبات الكتب النفيسة

المفيدة

المقدم وأودعته من الاحاديث النبويه والامثال الشعريه والالفاظ اللغويه والحكايات المحكيه والنوادر الهزليه ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ماتشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح بمطالعته كل قلب محزون شعر

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

وجعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بألفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا في المعنى

ففي كل باب فتنه در مؤلف * تنظم عقود زينتها الجواهر

فان نظم العقد الذى فيه جوهر * على غير تأليف فما الدر فاخر

وضمنته كل لطيفه ونظمته بكل ظريفه وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لى مارمته من الوصول وجعلت أبوابه مقدمه وفصلتها فى مواضعها مرتبة منظمه ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى فى بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤل فى تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر مايراه من خلل وعيوب انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرسة الكتاب والله المهون للصعاب (الباب الاول) فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثانى) فى العقل والذكاء والحمق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) فى القرآن العظيم وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك (الباب السادس) فى الامثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك (الباب التاسع) فى ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد (الباب العاشر) فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى عشر) فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب (الباب الثانى عشر) فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك (الباب الثالث عشر) فى الصمت وصون اللسان والنهى عن الغيبة والسعى بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) فى الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك (الباب السابع عشر) فى ذكر الحجاب والولاية ومافيهما من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك (الباب العشرون) فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير

فصول (الباب الثالث والثمانون) في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته يوم المعاد

(الباب الاول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول) في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ند له أزلي قائم أبدي دائم لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ وهو فوق كل شئ فوقيته لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار في دار القرار على مادلت عليه الآيات والاخبار حي قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لا يشبه كلام خلقه وكل ماسواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته ومامن حركة وسكون الا وله في ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض الآية وقال أبو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
* وفي كل شئ له آية * تدل على انه الواحد
ولله في كل تحريكة * وتسكينة في الورى شاهد

(وقال غيره)

كل ماترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

وقال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يابني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده في ملكه أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل مايتصور في الاذهان فالله سبحانه بخلافه

وقال لبيد بن ربيعة

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
كل ابن أنثى لو تطاول عمره * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل أناس سوف يدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله المحاصل

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان أشعر كلمة قالتها العرب * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بان محمدا رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر وجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا الدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على احد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

(الفصل الثانى) فى الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا فى اشتقاق اسم الصلاة ثم هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة فى كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فهى من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى اوفى أى ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار اذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد ومعبوده وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى

الاسلام وما أكمل الله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لا تفوت أحدا صلاة في جماعة الا بذنب وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقي كأنه جسد لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جن عليه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه ولعبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع

وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريري رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أويس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المكتوبة ويقول هي رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفؤها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل اثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله وكان مسلم بن يسار اذا أراد أن يصلي في بيته يقول لاهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم وكان اذا دخل المسجد سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فما شعر به حتى أطفئ وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقال يا ابن أخي لك

ولاصحابك

ولأصحابك لا للجمالين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة فقيل له
كيف تصبر فقال بلغني أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين
يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع علي وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من
رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلي في القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان
في هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت
قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع في مصلاه كوكف المطر
وكان ابراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه خفقان وغليان هذا خوف الحبيب والخليل
مع ما أعطاه من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته
الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلني رفيقك في
الجنة فقال أعني على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتني
صلاة الجماعة مرة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة
آلاف لان مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله عنهم
يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه
وأنشد بعضهم

خسر الذي ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك أنه * أضحى بربك كافرا مرتابا
او كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للامام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم اعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل ذكر شيء من فضل السواك والاذان أما السواك فقد قال
الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال أيضا
صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال
صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
لو يعلم الناس ما في السواك لبات مع الرجل في لحافه وقال أيضا أفواهكم طرق لكلام ربكم
فنظفوها والاختيار في السواك أن يكون بعود الاراك ويجزي بغيره من العيدان وبالسعد
والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الايمن
فيه وينوي به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال

الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ويستاك فى ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء * وقد قيل ان من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح * وأما الاذان فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخارى ومسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخارى والاحاديث فى فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها) قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة فى مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الزكاة مالا قط الا أهلكته وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يزكى ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعنى قوله تعالى رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت * ولنلحق بهذا الفصل ذكر شئ من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزى المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات الآية والآيات الكريمة فى ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذى فى جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفى صحيح مسلم وموطأ مالك وجامع الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى ودخلت امرأة شلاء على عائشة رضى الله عنها فقالت كان ابى يحب الصدقة وأمى تبغضها لم تتصدق فى عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن امى قد غطت عورتها بالخلقة وفى يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبى وهو على حافة حوض يسقى

الناس

الناس فطلت منه قدحا من ماء فسقيته أمي فنوديت من فوق الأمن سقاها فشل الله يدها فانتبهت كما ترين ووقف سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يارب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل * وعشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفراخهما الطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين وقال النخعي كانوا يرون أن الرجل الظلوم اذا تصدق بشئ دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا واصدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم انه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن ابن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شئ أعطاه كحلا أو أخرج

ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل ووجه رجل ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما بحافسأله أبوه هل أصابك فى سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت فى جملة الناس واذا شابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت باكثر من ذلك وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكى على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذى يذهب

(وحكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فاعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصى يده فاخذ رغيفا فبقى منهم رجل لم يأخذ شيأ فقال أين رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فاوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فأوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج وانتهره وذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا سائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعى اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل وذكر عن مكحول أن رجلا أتى الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له الا أدلك على ما هو أنفع من دعائى وأنجع وأسرع

اجابه

اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاة ولدك وسلامة ما معه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته وما معه فنادى فى تلك الساعة مناد فى البحر ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت فى البحر عجبا يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين * والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الا ما سعى والله أعلم

(الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم صوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى فى صحيح النسائى عنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما فى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى

رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهي الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفي صحيح البخاري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفضل الصوم غزير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت في الصحيح من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقد يكتفي في فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الخامس في الحج وفضله) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات اجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفي الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم في الدنيا وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء في الحديث الصحيح أن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكي) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزذ والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه السلام البيت وقال يارب ان لكل عامل أجرا فما أجر عملي قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يارب زدني قال أغفر لكل من استغفر لي من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبي * وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وأول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم

الا له أحبه وأخشاه وروى أن الحسن بن على رضى الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكى ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضى الله عنه فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلى فتوجهوا امعه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم * وحج عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال اعتقهم لله تعالى لعله يعتقنى من النار وقال الحسن بن على رضى الله عنهما انى لاستحيى من ربى أن ألقاه ولم امش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حسان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيأ

كأن الحجيج الآن لم يقربوا منى * ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
اتونا فما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

(وقال غيره)

يحجون بالمال الذى يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره * يحط ولكن فوقه فى جهنم

(وقال آخر)

حج فى الدهر حجة * حج فيها وأحرما
وأتانا من الحجا * ز كما راح محرما
فهو ذو الحجة الذى * ما توقى محرما

وتخاصم بدوى مع حاج عند منصرف الناس فقيل له أتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

(وقال أبو الشمقمق)

اذا حججت بمال أصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك)

نص الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك احاسب وبك اعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر

مضى وخلقه الله عز وجل فى الدماغ وجعل نوره فى القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة * واعلم أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما * فأما الاول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء * وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة لدراية وقد يخص الله تعالى بالطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما اخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية اشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبى حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام فى أمر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثى فاهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على مانقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ماقاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ماهو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده فى قول اكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفى هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام فاقول يستدل على عقل الرجل بامور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال

ورغبته في اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عاراو يورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه في الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس يكفي أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذي يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال علي بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بأيدي العقول تمسك أعنة النفوس وكل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار في المروج واختلف الحكماء في ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى انه في القلب كما روى عن الشافعي رحمه الله واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة قال الشاعر

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا

وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل ويقال لا شرف الا شرف العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين
ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلي رضي الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشئ مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع الشئ

مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال أردشير اربعة تحتاج الى اربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى انوشروان أربعة تؤدي الى أربعة العقل الى الرياسة والرأي الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حتفه من اغلب الخصال عليه وقيل افضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من اعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرجحهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم ايما احدث في الصبا الحياء ام الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال أبو الدرداء رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنفل الى صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا (وحكى) بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من اعاديها
والنفس تعلم اني لا اصدقها * ولست ارشد الا حين اعصيها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ورأيه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة

الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل أخبرت بذلك أحدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الي قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي أموال كثيرة ورأيت ان أودعها عندك فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن اشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد اخبركم ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما ابصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فاقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتآلفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء * (واما ذم الحمق) فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في أمر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن أفرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال افحش وان

سئل بخل وان سأل ألح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها فى كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعيانى والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر (وحكى) ان احمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهم شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رجل يتعبد فى صومعة فامطرت السماء وأعشبت الارض فرأى حماره يرعى فى ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حمارى هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فاوحى الله اليه لا تدع عليه فانى أجازى العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله عليه وخطب سهل هندا بنت عتبة فحمقته فقال

وما هوجى ياهند الاسجية * أجرلها ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولا طمت فى البطحاء من كل طارق

ويقال للابله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحمق المؤذى هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث فى القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم)

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته ان أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لا شئ أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى

وقال الشعبي الذي يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب بن صعصعة على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها قال له يا أبا الاخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة وفي ذلك قال

وما صب رجلي في حديد مجاشع * مع القيد الا حاجة لي أريدها

وقال أنس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشري في كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخوص مر بمصروع فأذن في اذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثوري رحمه الله اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة في المصحف * وكان أبو حنيفة والشعبي رحمهما الله تعالى يختمان في رمضان ستين ختمة وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبي اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتي افضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بمريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا خير في قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ولعن اباه اذا نشر المصحف أغمي عليه ويقول هو كلام ربي وأبطأت عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليلة فقال ما حبسك قالت قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراآت فعلى قراءة من تأمرني فقال على قراءة أبي عمرو * وعن أبي عمر اني لم أزل اطلب ان اقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فقرأت عليهم فاشدد بها يدك فينبغي للانسان ان يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه الاذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات اربعا في الليل وأربعا في النهار وروى أن مجاهدا رحمه الله كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء واما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن اول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وافضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فافضلها قراءة الليل والنصف الاخير افضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة واما قراءة النهار فافضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا في اوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القارئ الاخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وان لا يقصد بها توصلا الى شيء سوى ذلك وان يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه انه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي للقارئ اذا أراد القراءة ان ينظف فمه بالسواك وان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتتيسر المرغوب ودلائله أكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضي الله عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين

وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط ان لا يؤذى غيره من مصل أونائم أوغيرهما والاحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيى الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن احاديث كثيرة* وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية له من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ فى ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع فى العلم والادب فصل العالم والمتعلم)

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة و بذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام و بيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء و بالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الأبرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام و بالعلم يعرف الله و يوحد و بالعلم يطاع الله و يعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة فى طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال على كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون فى سفن النجاة

سيرون وقال موسى عليه السلام فى مناجاته الهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله عنهم العلوم أربعة الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره (وسئل) الشعبي عن مسئلة فقال لا علم لى بها فقيل له الا تستحي فقال ولم استحي مما لم تستحي الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال على كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

* يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
* ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
* فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
* فهناك يقبل ماتقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
* لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
* الا مباهاة لاصحابه * وعدة للغش والظلم

نظر رجل الى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك أبى وأمى ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة فى أحكامهم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه فى دينه وكررها عليه فقال يارسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل * وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد فى الملكوت الاعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رايت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم * وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ألا اخبركم باجود الاجواد قالوا بلى يارسول الله قال الله أجود الاجواد وأنا أجود ولد آدم واجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم

القيامة

القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وقال الثورى كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال لو أن أهل العلم اكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادلهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فأعظم بها مصيبة والله أعلم ولقاضى العلامة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى وقد أحسن كل الاحسان كأنما طرزت فى خلع حسان شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى * لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما
فان قلت زند العلم كاب فانما * كبا حين لم نحرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم فى صغره لم يتقدم فى كبره وقال الفضيل شر العلماء من مجالس الامراء وخير الامراء من مجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا رأى طالبى العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن نظر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدى النساء يخرج من تحتها عين ماء شرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضى الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتى من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم شعر

العلم أنفس شئ أنت ذاخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأول العلم اقبال وآخره

قال الشعبى دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألنى عن اسمى فأخبرته ثم قال ياشعبى كيف علمك بكتاب الله قلت عنى يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الى فيها المنتهى قال كيف علمك بأنساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه قال لله أبوك وفرض لى أموالا وسودنى على قومى فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم قال البستى

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره ان الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضى الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى ثنتين وثلاثين منها لا أدرى وقال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال على رضى الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض ولصالح اللخمى شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلى على المهدى فى القراء فاخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى الرماة فاخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى المغنين فاخذ كذلك ثم دخل فى القصاص فاخذ كذلك فقال المهدى لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله فى أحد منك وملّ جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه فى بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون فى شئ الا صدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصى فانشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فارشدنى الى ترك المعاصى
وذلك أن حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم انه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة فى كل شئ أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قيل واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سيدى الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى فى الحفظ يقرأ فى كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكنا فاعلين ياحى ياقيوم يارب موسى وهرون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمنى الفهم وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين وعن أبى يوسف قال مات لى ولد فامرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوفا ان يفوتنى منه يوم وقال محمد ابن اسحق بن خزيمة ما رأيت تحت أديم السماء اعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخارى حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى

وقال مجاهد أتيناعمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعي لما قدم مصر بعد موته والله لأنت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا يجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمتها المنابر شعر

لا تدخر غير العلوم * فانها نعم الذخائر

فالمرء لو ربح البقا * مع الجهالة كان خاسر

وللشافعي رضي الله تعالى عنه شعر

أخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل عالم سراج زمانه يستضيء به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة اى الناس أطول ندامة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما في الآخرة فعالم مفرط شعر

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال

فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا نبي الله ان هذا العصفور يقول يا موسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما علمي وعلمك وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقي لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يا رب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت آمر دابة من دوابي ان تبتلعهما قال موسى يا رب وأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال موسى يا رب وأين ذلك المرج قال في علم من علمي لا يعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فكرة فقال فيم تفكرون تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يا رسول الله أين ابليس منهم قال ما علموا ابليس خلق أم لا قال أمن بني آدم قال ما علموا آدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدها الله في علم غيبه انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون وقال قتادة

لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام اذ قال هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ماخزنته الدفاتر وانما العلم ماخزنته الصدور وقيل العلم يؤدي الى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جاها العلم نور وهدى والجهل غي وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لاشعير فيها ولابراهيم بن خلف المهراني

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

وقال علي بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله * فيسقط من عيني ساعة يلحن

ودخل اعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال لم لاتنظر في العربية فقال بلغني ان من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من ان يكثر كلامك بالخطا وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الاسود الدؤلي اذا اردت ان تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولم تدري بأنك جاهل * ومن لي بان تدري بأنك لاتدري

وقال رجل للحسن انا افصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ علي كلمة واحدة قال هذه واحدة أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه اباالحكم فقال حسان رضي الله عنه

الناس كنوه اباحكم * والله كناه اباجهل

(واما ماجاء في الادب) فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال علي كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروأة صاحب في المجلس انيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ماحاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وحكي) ان رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من انت قال ابن الادب ياأمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما انا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحموضة وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وان الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب ان لا يفتخر المرء بادبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * مالى المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش الا بالجراءة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

(الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك)

قال الحكماء اذا أراد الله بعبد خيرا الهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من ثمرة الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من اطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه احد ومن قنع بعطائه لم

يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص
من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل
حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم
لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصى ربه في طاعة هواه ويهين نفسه في اكرام
دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم
مستقبل لا تدرى ما حاله ولا تعرف من أهله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه
للمصائب لا تندت على غير وصيه وان كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة عظ
المسيء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من
عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا تجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول
صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد في خلقه نقص في
حظه من ائتمن الزمان خانه اظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه حتى
يكون فيه اربع خصال يقطع رجاءه مما في أيدي الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب
للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين
ويذهب المروأة قيل لافلاطون ما الشيء الذي لا يحسن ان يقال وان كان حقا قال مدح
الانسان نفسه أربعة تؤدي الى اربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود
الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه جده العزة ثمرة الجهل آفة القوة
استضعاف الخصم آفة النعم قبح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم اسد الآراء
والغفلة اضر الاعداء من قعد عن حيلته اقامته الشدائد ومن نام عن عدوه ايقظته
المكائد من قرب السفلة واطرح ذوي الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا
تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند
اربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهي من
طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما
كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل
امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شانه وحفظ
لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن
صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن اكثر سؤاله حرم
من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من اذل جيرانه ولا سعد من
حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال اولى الناس بالنوال ازهدهم في
السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم
عنه من بخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره
واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه
من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره ومن اعجب بعمله
حبط أجره من رضي من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع في هبته بالغ في

خسته من رقى فى درجات الهمم عظم فى عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء
خلقه ضاق رزقه من صدق فى مقاله زاد فى جماله من هان عليه المال توجهت اليه
الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف
فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف اغاثة
الملهوف من تمام المروأة ان تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك
وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه
وبخله يبغضه الى اودائه لا تسئ الى من أحسن اليك ولا تعن على من انعم عليك من
كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس
من ينصر الظالم ويخذل المظلوم من حفر بئرا لاخيه كان حتفه فيه من سل سيف
العدوان أغمد فى رأسه من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة
لا تحاج من يذهلك تخوفه ويملكك سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال
ما لا ينبغى سمع ما لا يشتهى جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن
جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا من أمات شهوته أحيا مروأته من كثرت
عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته عظمت خطيئته اياك والبغى فانه يصرع
الرجال ويقطع الآجال الناس فى الخير أربعة أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من
يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو
كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقى ومن تركه استحسانا فهو
دنى من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله
خاب أمله العجول مخطئ وان ملك والمتأنى مصيب وان هلك من أمارات الخذلان
معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر
فى العواقب سلم من النوائب ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب من ركب
العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت
وسائله من فعل ما شاء لقى ما ساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب حدته غلب
ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل
قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك اذا
استشرت الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن
السياسة صغر عن الرياسة لا تشك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك
من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من افشى سره
أفسد امره الحازم من حفظ ما فى يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون
طال تعبه لا تفتح بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء التدبير سبب التدمير
اغمد سيفك ما ناب عنك لسانك ليس العجب من جاهل يعجب جاهلا ولكن العجب
من عاقل يعجبه لان كل شئ ينفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر
رب عطب تحت طلب ومنية تحت أمنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح

الجوع خير من الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه اشتد حتفه من لم تسر حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية اذا ملك الاراذل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفاء خير من قرب يوجب الجفاء اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده من اطلع على جاره انهتكت حجب أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب من زادت شهوته نقصت مروأته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيأ حرص عليه عند الجدال يظهر فضل الرجال من أخوالا كل لذ طعامه ومن أحر النوم طاب منامه موت في دولة وعز خير من حياة في ذلة وعجز مقاساة الفقر هي الموت الاحمر ومسئلة الناس هي العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب شر ما صحب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده اليأس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا في غير عجب ولا ماشيا في غير أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذي أنت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذي خطأ خطأه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا لبالغت في مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب

التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر انصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع المروآت كلها تبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل بطنك مالا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

(الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول)

(الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم) اعلم ان الامثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا فكم فى ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب ففررت منكم لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا أن الله شديد

العقاب وأنّ الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون
فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
مقتدون ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين لا يجليها لوقتها الا هو فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو فى شأن
فبأى حديث بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا
من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ان هى الا فتنتك فاعتبروا يا أولى الابصار
وانه لقسم لو تعلمون عظيم ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان
بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت
أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * ومن الامثال من الحديث النبوى انما الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا
خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغنى ظلم يد الله مع الجماعة
الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء
شعبة من الايمان تخيروا لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا
حرج المجالس بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك
وما يعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم
توبة لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريبك الى ما لا يريبك من كثر سواد قوم فهو
منهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر أن يكون كفرا نعم
صومعة الرجل بيته الاعمال بخواتيمها

(الفصل الثانى فى أمثال العرب) ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء
موكل بالمنطق ان أخاك الهيجاء من سعى معك ومن يضر نفسه لينفعك أنف فى السماء
واست فى الماء ان الذليل الذى ليست له عضد اى الرجال المهذب انما هو كبرق خلب
اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم اياك أعنى فاسمعى ياجارة ان لم يكن وفاق
ففراق انك لا تجنى من الشوك العنب اذا حان القضاء ضاق الفضاء ان المناكح خيرها
الابكار اذا كنت ناطحا فناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك أن
تضرب بلسانك عنقك أكل وحمد خير من أكل وذم آفة المروأة خلف الوعد اذا قلت له
زن طاطأ رأسه وخزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك
خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه
الناس اخوان وشتى فى الشيم بلغ السيل الزبى أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق
ولو فى الحريق اشتدى أزمة تنفرجى اتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها
رمتنى بدائها وانسلت رب رمية من غير رام الرباح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات
استراح من لا عقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى الى عطب وربما كان السكوت

جوابا

جوابا رب ملوم لاذنب له رب عين انم من لسان رحم الله من هداني الى عيوبي ركوب الخنافس ولا المشي على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر ايام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة أطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الاجم

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء او يهان عند النازلة تعرف أخاك في القمر ضياء والشمس أضوأ منه القول ما قالت حذام لقد أسمعت لو ناديت حيا اقلل طعامك يحمد منامك كل فتاة بأبيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ في بيته صبي كلب جوال خير من أسد رابض * لقد ذل من بالت عليه الثعالب * ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة * لعل لها عذرا وأنت تلوم * لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب وبدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لاعطر بعد عروس لايلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لاتقتن من كلب سوء جروا مقتل الرجل بين فكيه ماحك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادي أظلم يا حبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس وأسته عارية يداك منك وان كانت شلاء *(الفصل الثالث في أمثال العامة والمولدين)* التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوي لاينجو من الحيات الحية تدور والى الرحى ترجع المؤذي ردي كلما جلوته صدى الاسواق موائد الله في أرضه السلامة احدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لايؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد في الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقيل اذا تخفف صار طاعونا أضيع من حلي على زنجية العمل للازرنيخ والاسم للنورة أنشط من ابر دخل نصعه البغل الهرم لايفزعه الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم

وذمه ذل من لاسفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع كقاعد زكاة البدن العلل زاق الحمار وكان من سهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لاتبقى ولاتذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لاتعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكسا طاعة الولاة بقاء العز طفيلي ويقترح عناية القاضي خير من شاهدى عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء فى الغربة وطن فر من الموت وفى الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فى كل قليلا تعش كثيرا كلامه ريح فى قفص كالابرة تكسو الناس وهى عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت سندا نا فصرت مطرقة كل مافاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لوكان المزاح فحلا لم ينتج الاشرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لو ضاعت صفعة ما وجدت الا فى قفاه لو كان فى البوم خير مافات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

(الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الالف)

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
اذا جاء موسى وألقى العصا * فقد بطل السحر والساحر
اذا لم يكن فيكن ظل ولاجنا * فابعدكن الله من شجرات
اذا كنت فى فكرى وقلبي ومقلتي * فاى مكان من مكانك ألطف
اذا أراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف ينفعه
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدى
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
اذا لم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فانت صديقى
الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق
انما أنفسنا عارية * والعوارى حكمها أن تسترد
ان العدو وان أبدى مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر
اذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه
اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الجنان
اذا كنت لاترضى بما قد ترى * فدونك الحبل به فاختنق

ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر
اذا ضاع شئ بين أم وبنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذه
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص
اذا ما أراد الله اهلاك نملة * سمت بجناحيها الى الجو تصعد
اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل
اذا لم تستطع امرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع
اذا صوت العصفور طار فؤاده * ولكن حديد الناب عند الثرائد
اهن عامرا تكرم عليه فانما * اخو عامر من مسه بهوان
اذا محاسني اللاتي أتيت بها * عدت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر
اخوان صدق ما رأوك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فايسر ما يمر به الوحول
الم تران المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره
اذا انت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوءك أعدت الدواء عن السقم
اذا انت حملت الخؤن امانة * فانك قد اسندتها شر مسند
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل
اذا أنت عبت المرء ثم اتيته * فانت ومن تزرى عليه سواء
اسأت اذ أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات اذا ألم خطوبها * فلها مساو مرة ومحاسن
الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره
العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها
أيا دارهم ما كنت أنت بدارهم * ولا أنا مذ سار الركاب بهم أنا
اقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

(حرف الباء الموحدة)

سافوق ما تشكو وصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا
بالملح نصلح ما نخشى * فكيف بالملح ان حلت به الغير
بني عمنا ان العداوة شأنها * ضغائن تبقى في نفوس الاقارب

(حرف التاء المثناة الفوقية)

تحن الى البه افئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع
تلوم على القطيعة من اتاها * وأنت سننتها للناس قبلي
تلجى الضرورات في الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب
تفرقت الظباء على خراش * وما يدرى خراش ما يصيد

تجتلى الاذن منه احسن مما * تجتلى العين من وجوه البدور

(حرف الجيم)

جن له الدهر فنال الغنى * آه لمن اغفله الدهر

جربت اهلى واهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

(حرف الحاء المهملة)

حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ما حياك انسان

(حرف الخاء المعجمة)

خفض الجأش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت

خليلى ان الحب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب

خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فما نصحتك الا بعد تجريبى

(حرف الدال المهملة)

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود

دعينى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين من اللئام

(حرف الذال المعجمة)

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة منعم

(حرف الراء)

* رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب

* ردوا على صحائفا فاسودتها * فبكم بلا حق ولا استحقاق

رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر

* رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(حرف الزاى)

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

(حرف السين المهملة)

سرورى ان تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع

سوء حظى أنالنى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب

سبكناه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد

ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم اننى نعم الصديق

(حرف الشين المعجمة)

شفيعى اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخبر ان كنت واثقا * بانى بعد الخبر لاشك شاكر

(حرف الصاد المهملة)

صحح لنا والده أولا * وأنت فى حل من الوالده

(حرف الضاد المعجمة)

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

(حرف الطاء المهملة)

طويل عمر المعالى والندى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد
طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن

(حرف الظاء الشالة)

ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ظلمت امرأ كلفته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الاغرائزا

(حرف العين المهملة)

علم الله كيف أنت فاعطا * لك المحل الجليل من سلطانه
على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر
عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

(حرف الغين المعجمة)

غنى بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشئ لا به
غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب

(حرف الفاء)

فلم أر كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فصبرا جميلا ان فى اليأس راحة * اذا الغيث لم يمطر بلادك ماطره
فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل
فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب
فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد
فان تفق الانام وانت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

(حرف القاف)

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع
قد يدرك المتأنى نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

(حرف الكاف)

كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا
كفى زاجرا للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدي
كنت من كربتي أفر اليهم * فهم كربتي فاين الفرار
كانوا بني أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء
كانك من كل النفوس مركب * فانت الى كل الانام حبيب
كالكلب ان جاع لم يعدك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشر
(حرف اللام)
لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
لعمري ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن اخلاق الرجال تضيق
للموت فينا سهام وهي صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
لوان خفية عقله في رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب
لو كان مابي في صخر لانحله * فكيف يحمله خلق من الطين
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم في النائبات أقاربه
(حرف الميم)
من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شيء ولا يضع
من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه
ما كان في المخدع من أمركم * فانه في المسجد الجامع
* ماقام عمرو في الولا * ية قائما حتى قعد
(حرف النون)
نسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالا بد من شربه
ندمت ندامة الكسعي لما * رأت عيناه ما صنعت يداه
(حرف الهاء)
هنا كم الله بالدنيا ومتعكم * بما نحب لكم منها ونرضاه
هل بالحوادث والايام من عجب * ام هل الى رد ما قد فات من طلب
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال
هنيأ لمن لاذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
هم يحسدوني على موتي فوا حزني * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

حرف

(حرف الواو)

ولم ار كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل
واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه
والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبيت بوابا بباب الاحمق
ولا يغررك طول الحلم مني * فما ابدا تصادفني حليما
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني كامل
وما المرء خير في حياة * اذا ما عد من سقط المتاع
وما المرء الا كالهلال وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب
وقد تسلب الايام حالات أهلها * وتعدو على اسد الرجال الثعالب
ومن يأمن الدهر الخؤن فانني * برأي الذي لا يأمن الدهر اقتدي
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أي مطرح
ولربما منع الكريم وماله * بخل ولكن سوء حظ الطالب
ولا بات سقمنا سوى الماء وحده * وهذا نزا من بات ضيف الضفادع
ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن ما لهن دوام
واحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزي بما كنت ساعيا
ولا ترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا
وما لامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثنا فيخلد
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
وكان رجائي أن اعود ممتعا * فصار رجائي ان أعود مسلما
وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع
ولا بد من شكوى الى ذي مروأة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع
وهون حزني عن خليلي أنني * اذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه
ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

(حرف اللام ألف)

لا تنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار
لا تسأل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر
لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
لا يبالي الشتم عرض * كله شتم وذم *

لاتنظرنّ الى امرئ ماأصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لايسكن المرء فى أرض يهان بها * الامن العجز أومن قلة الحيل
لايقبلون الشكر مالم ينعموا * نعما يكون لها الثناء تبعا
لاأسال الناس عمافى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

(حرف الياء المثناة التحتية)

يفرّ من المنية كل حى * ولاينجى من القدر الحذار
يريك الرضا والغل حشو جفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت
يهمهم للشعير اذا رآه * و يعبس ان رأى وجه اللجام
يفارقنى من لاأطيق فراقه * و يصحبنى فى الناس من لاأريده
يزيده فضلا وأزيد شكرا * و ذلك دأبه أبدا و دأبى
يواسى الغراب الذئب فى كل صيده * وماصارت الغربان فى سعف النخل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول
يغرّ الفتى مرّ الليالى سليمة * وهن به عما قليل عوا ثر
يعظنى وهو على رسله * والمرء فى غفلة سواه حليم
يريك البشاشة عند اللقا * و يبريك فى السر برى القلم

(الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الالف)

ان كنت ماتعمل جميل اعمل كما يعمل معك * اذا أبغضك جارك حوّل باب دارك * اذا كان صاحبك عسل لاتلحسه كله * المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى * ألف ذقن ولاسلام عليكم * ألف ذقن ولاذقنى * اذاعاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله * اذاوصلت وسلم الله بع بماقسم الله * اذا كنت أعمى وأطروش شم رائحة النقوش * اذا كان النبيذ دردى والعشيق كردى والنقل فول حار والعشاء بيسار * ايش يكون الحال اذا كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخلعه والنعش مكسر اعلم أن الميت من اهل سقر والوادى الاحمر * ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح قال تقريف للحاضرين وتعريق للملائكة * القشر والنشر والعشاء خبيزه * أكل الدقه والنوم فى الازقه ولاد حاجه مجمره يعقبها مشقه * ايش أنت فى الحاره يامنخل بلاطاره * الرجم بالطوب ولا الهروب اذا وقعت يافصيح لاتصيح * أقرع يقول لاقرع امشى بنا نزرع فى بركة القرعان ايش ماطلع يطلع النصف لى والربع لى والثمن لى والثمن الآخر لك ولى * العدوّ ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب * اقعد ياحمار حتى ينبت لك الشعير * أى موضع راح الحزين يلقى جنازه قال الشاعر

ان دام هذا السير يامسعود * لاجمل يبقى ولاقعود

غيره

اذا لم تكن لى والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترللى

غيره

اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة * وان أدبرت كادت تقد السلاسل

(حرف الباء الموحدة)

بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته * بينما يسعد المعتر فرغ عمره * بينما أصل قبره نسيت همه * بينما يعدل المعتر حاله جا الموت شاله * بينما يخلص ربنا حق اتفرقعت جوزة حلق * بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد * بينما يجى الدرياق من العراق يكون الملسوع مات * بين حانه ومانه حلقت لحانه * بدوى مقروح لقى التمر مطروح اين يخلى ويروح * بدال لحمتك وقلقاسك هات لك شد على راسك * بدال اللحمه والباذنجان هات لك قميص يا عريان * بطال لحمتك الثلاثه هات لك شد باشمائه * بقى للكلب سرج وغاشيه وعمال وحاشيه * بقى للخرا امرا ويحلف بالطلاق * بعد الجوع والقله بقى لك حمار وبغله

(حرف التاء المثناة فوق)

تموت الحداى وعينها فى الصيد * تعالوا بنا نقبح ونرجع غدا نصطلح * تدحرج الخرا لعند البعر قال له ايش أنت قال له برم قرداش * ترك الفضول من حزم العقول * تراب العمل ولا زعفران البطالة * تسكر وتخانق ماهو شئ موافق * تجارة الاحمق على أهل بيته * تضارب الريح مع الموج جا الهم على النواتيه * تزاوروا ولا تجاوروا * تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

(حرف الثاء المثلثة)

ثوب العيرة ما يدفى * ثقيل واسمه صخر بن جبل * ثور علقوه أغمى عليه قال حتى يطلع شئ برشوه عليه * ثور عاجز ما يدور ساقيه * ثقيل من أولاد الزنا مر العنا * ثوب عليه وثوب على الوتد قال أنا اليوم أحسن من كل من فى البلد

(حرف الجيم)

جور القط ولا عدل الفار * جمل موضع جمل يبرك * جهل المقل دموعه * جمل بحمه قال وأين الحمه * جبت اصطا دصادونى * جارله حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافيه * جارك مرآتك ان لم ينظر وجهك نظر قفاك * جا كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله * جا كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه * جاؤا ينعلوا خيل الباشا مدت أم قويق رجلها * جوزوها له ما لها الا له * جوزوا مشكاح لريه ما على الاثنين فيه

(حرف الحاء المهملة)

حاجة لا تهمك وصى عليها زوج أمك * حول حيطى ماعونه وقدرته مع كانونه * حمار حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت * حلبنا القلوع وأرسينا وأصبحنا على ما أمسينا * حب ووارى وأكره ودارى * حدثتنى ونصحتنى عايرتنى وفرحتنى * حط فلسا تك فى كمك واشترى أبوك وأمك * حبة قرض تخرب أرض

(حرف الخاء المعجمة)

خدينى وارغبى فيه انا حصادة ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالى نيه

*خبثت لى وصلحت لك *خذا الصبى فوق صبيانك تمام لا نزانك *خزينة فى جره وملحه فى صره *خبزه بلاادام ويعزم على الجيران

(حرف الدال المهملة)

دار الظالم خراب ولو بعد حين *درهم لك ودرهم عليك لا لك ولا عليك *دواء مالا تشتهى النفوس تعجيل الفراق

(حرف الذال المعجمة)

ذادرب مايهدريح *ذى ماهى رمانه الا قلوب ملانه *ذالى وذا ايدى عليه * ذى مايده مايقعد عليها طفيلى * ذا الخبز ماهو من ذا العجين * الولد خوامن ظرفه كل من شال رجله حك أنفه* ذكروا مصر القاهرة قامت باب اللوق بحشايشها *ذكروا المدن جاءت القرى تحجل

(حرف الراء المهملة)

راح ذاك الزمان بناسه وجا هذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه *رأوا حمارا راكب حط قالوا الى أين يا حمار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشرق ولا يغرب * رأوا سكران يقرأ قالوا غن تشا كل روحك * رأوا شحاتة يجي قالوا اختم على الصراط * رأوا وردانه على سنداس قالوا ما الذى الفسقيه الاذى البالطيه *رأوا على قبر مكتوب باسعادة ساكنه قالوا البصر من براجه * راكب بلاش وينا غش مراة الريس * ركبتك ورأى حطيت يدك فى الخرج *راح الجندى وخلى خلقه عندى * رزق الكلاب على المجانين * راسين فى عمامه مايكون * راحت على جمل وجات على قطه قال ما الذى الشيله الاذى الحطه قال الشاعر

راح الذى كنا نعيش بفضله بين الورى
وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل الخرا

(حرف الراى المعجمة)

زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه *زاويه بلا عيش بنيت ليش *زوج القصيره يحسبها صغيره *زوجت بنتى اقعد فى دراها جاتنى واربعه وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تنستر * وعملى بيتى قماش
جاءنزلها فى أكلها * وبيكها اطلع بلاش

زنبور زن على جحر مسن قال له ايش تريد قال أحسك قال انا الحس المولاد *زنبور زن على فلس حش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن باذندن

(حرف السين المهملة)

سل المجرب ولا تنس الطبيب *سموك مسحر قال فرغ رمضان *سموك حبل قال وطولت سموك راجح قال ان شاء الله يجى الحق * سبع وزرو لا استر قال الشاعر

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

وقال آخر

سيغني الله عن زيد وعمرو * ويأتي الله بالفرج القريب

(حرف الشين المعجمة)

شره ووضيع ويغضب سريع * شئ مانابه وتقطعت ثيابه * شعر بحلق وشعر ما يحلق * شرب السموم القاتلة ولا الحاجة الى السفل * شمي ولا تدعكني * شئ ما يجي على القلب عنايته صعبه * شراء العبد ولا تربيته * شحت بغله عامت زبله ركبت نفسه زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليل الا المقطعات النيل

(حرف الصاد المهملة)

صام سنه وفطر على بصله * صبري على الحبيب ولا فقده * صاحب بضرعدو مبين * صباح الفوال ولا صباح العطار * صباحك يا أعور قال ذى خناقه بايته * صباح الخير يا جاري أنت في دارك وأنا في داري

(حرف الضاد المعجمة)

ضرب الحبيب كأكل الزبيب * ضربتين في الرأس تعمي * ضرب وبكي وسبق واشتكى * ضربة على كيس غيري كأنها في عدلي حنا * ضمنوا حدايه لغراب قال الكل يطيروا * ضربوا بياع الكسبره خري بياع التوم قال ذى داهيه جات على الخضريه

(حرف الطاء المهملة)

طارت الطيور بارزاقها * طفيلي ويجلس في الصدر * طفيلي ويقترح * طويل الكم خطار قليل الفرح في الدار * طبق وجاريه على صحن بساريه * طلبوا حاكم عثمان يدمن وراوبد من قدام * طعامك ما جاني ودخانك أعماني * طار طيرك وأخذه غيرك * طول ما أعيش يكفيني رعي الحشيش * طول الغيبه وجانا بالخيبه

(حرف الظاء المعجمة)

ظهرك عندي نصف الليل

(حرف العين المهملة)

عنق ودمدلي في الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بدا له الا اباله * عاشق ما يسمع بكا صغير * عاشق ما يسمع كلام مفارق * عاشق مقل شي ما زرع ايش جا يستغل * عزومه حسبت عليك كل وبحاق عينيك * عند المخاصة بان القبلط * عند الطعان يبان الفارس من الجبان * عريان التينه وفي حزامه سكينه * عريان وفي كمه ميزان

(حرف الغين المعجمة)

غابت السباع ولعبت الضباع * غربه وكربه ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس تحسين في قدره * غالي السوق ولا رخيص البيت

(حرف الفاء)

فرجه بلا كسر تعمي البصر * فقير ونفير وكلامه كثير ويقول هاتوا عشا من يحنى * فوق الشراطه ملح أودانه * فارس حرا ويسوق في الوحل * فارس خرا واسمه عنتر * فارس خرا ويسابق الخيل * فردضربه في الرأس تكفي * فصدوا قرد ضرط قالوا به دم زايد

فرغت الرعانه يا جانم

(حرف القاف)

قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هو أنا محب فيها * قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ما يحلى * قالوا للقرد شب قال ايادى ملاح وتمسك الماصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو أنا عنده بوجه يبسط * قالوا للجمل زمر قال لاشفف ملمومه ولا أيادى مفروده قالوا للدبه طرزى قالت ذى خدمة ايادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ما جرت بهذا عاده * قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا للبقر الدوان اذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا اشتهينا تروح بجلودنا * قالوا للغزاله ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا حلوا المناسف

(حرف الكاف)

كل من عودته بأكالك كلما نظرك جاع * كشكار دائم ولا علامة مقطوعه * كل كره واشرب كره ولا تعاشر كره * كل هم كاوى عند همى باوى * كل شئ لا يشبه قابيه حرام * كل مائة عصفور ما يجوا حدايه * كل ألف مصه ما يجوا بغصه * كل ألف بوسه ما يجوا بعبوسه كملت بالجمان بالشعره والصنان * كمل حيدى كل المعانى أعرج وقليط ومجنانى * كمل حيدى واكمل أعرج وقليط وأحول وفيه عاده أخرى لمن يواصل بخرا * كأنه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر * كأنه من طواحين الكشكار داير على رجل الفار * كانه عصفور ينيك بلاش ويأوى فى الاعشاش

(حرف اللام)

* لولاك يا كمى ما أكلت يا فمى * لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفاى * لولا الغيره والحسد كانت عجوزه كفت بلد * لولا أختك ما صرت ابن عمتك * لو قلبناها بلية ماجات هكذا * لو كان فيها خير ما رماها طير * لك وعليك ما يصعب عليك * لك اسوة بغيرك * لقمه بدقه ولا خوف بزقه * لقمه تحت حيطه ولا خوف بعيطه * لو سلم الكرم من حارسه طابت مغارسه * لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعه ما يخليها * لو عمل لى من الذهب ولجمه هو عندى بتلك العين القديمه * لو شال رأسه الى السما كان عصيده عما لو نظر الجمل لعقمه كان كدمه * لولا الكشط والبرايه ما كانت أولاد الخرا كتاب

(حرف الميم)

محبه بلا حبه ما تساوى حبه * ماشلتك يا دمعتى الا لشدتى * من عاشر غير جنسه دق الهم صدره * من قدم النحس تعب فى تأخيره * من عاشر الحداد احترق بناره * من عاشر الزبدانى فاحت عليه روايحه * من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه من لا يعطى يده لزنده ما يعرف حره من برده * ما رأيتك يا نور حتى ابيضت العيون * مالى على فراقكم جلد الا هجاجى من البلد * ما كنا الا هم أبونا قام أبونا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه * من عدم نابه ونصابه وشبابه كان الموت أولى به * من يكلم القبيح يروح عرضه وينفضح ما تنقدوهم كلهم زغليه ما فيهم من يعجب النقاد

(حرف النون)

نوابه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير * نفسك أتلفت أى شئ أخلفت * نصف الملا ولا الملا كله * ناقص ونحاس * ناموسه باتت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لما وأنت كنت على أى ورقه * نيتك مطيتك * نسيت يافلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه * نيك حتى تبقى ديك

(حرف الهاء)

هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل * هان المسك وانتثر * هديه تفرقوها تخليها ولا لومها * هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أعمى عن ورق الموز * هو عرس تاكل وتنسل * اهدوا هدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها * ها تو اذا الغزل المخبل لذا القلب المدبل

(حرف الواو)

واحد نتفه وآخر لقفه وقال آخر يا قريب الفرج * واحد يخطبوا له وهو قائم عليه قال انا فى حاجتك * واحد جائز رأى قرد يحرش ترمس قال ما الذى العاكهة البدرية الاذى الصورة القمرية * واحد سموه عنبر وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعه * وحش ويكش ويقعد فى الوش ويغنى بلينا بكم * وقت أكل الدجاج ما يفتكرونى وفى وقت شيل التراب هات يدك * وايش قام على تومه بفصل الحكومه * وقت الشوا والبيني ماقلت يا أخى الحقنى * ووقت ضرب الدره قلت اصفعوا واصفعنى

(حرف اللام ألف)

لا تعيرنى ولا أعيرك الدهر حيرنى وحيرك * لا أصل شريف ولا وجه طريف * لا أخوك ولا ابن عمك تشق ثوبك على ايش * لا عاش بلبق لا حراس ولا دراس * لا عاش العار ولا بنى له دار * لا ريح ثوابه ولا خلاه لاصحابه * لا فى العراق نجد راحه ولا فى الوصل * لا تشكرن فتى حتى تجربه * لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى * لا يضر السحاب نبح الكلاب * لا يغرك تطريفى الاصل فى ريفى

(حرف الياء)

ياشب مليح ما أحسن وصفك لا فى يدك ولا فى طرفك * يا ويل من ذاق الغنى بعد جوعه * يموت وفى قلبه من الهم واجس * يا طارق الباب بعد العشى لا تطرق الباب ما ثم شى * يامن ملنا ما كان حلنا اسا ما النافى العشرة سنه * يهنيكم قدومه قد جاكم بشومه * ياليتنا انكسرنا ولابك انتصرنا * ياويل من كان عشيه من بيت غيره * ياطالب الشر بلا أصل تعال للصائم بعد العصر

(أمثال النساء حرف الالف)

أحبك ياسوارى مثل معصمى * الذى فى قلب ام حسين تحلم به فى الليل * ان كنتى حره لا تضيعى نقابك بره * ان لم تعملى وتفتخرى والا اقعدى وانعمرى * ان كانت الدايه أحن من الوالده قال دى داهيه عماره * الكلام لك ياجاره الاانتى جاره * ايش تعمل الماشطه فى الوجه المشوم * ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه * ايش ينفع النفخ فى

الوجه الاصم * أرمله عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعدسكى * اسم الزوج ولا طعم الترمل * العاقله فينا ترنى بقطمنا * اذا كان زوجى راضى ايش فضول القاضى * استعارت الرعنه شى حسبته لها اخذت المقص ودارته لها * اقعدى فى عشك حتى يجى حد ينشك

(حرف الباء الموحدة)

بعدان كنتى لى وحدى بقيت أسمع أخبارك * بعدسنه وشهر بن جابت بنت بشفرين * بعدان كان زوجها بقى طباخ فى عرسها * بعدمشيك فى الحلفه بقى لك سلالم وغرفه واسملك ستنه * بعدأمى وأختى الكل جيرانى * بينما تتنقب الحوله انصرف القاضى * بنت الخوازف لابن الخرابدف * باتت ناموسه على جبزه قالت صبحك الله بالخير قال من درى بك قبله * بدال ماتمشى وتهزى كتفك رقعى فردة خفك * بخرا وتراحم بالبوس * بقى لام سيدى برقع وللضفدعه زماره * بعدمشيك فى الحلا فى لبستى الصافى * بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

(حرف التاء)

تابت القحبه يوم وليله قالت مابقى فى البلد حكام * تضاربت المجنونة والحمقا احسدتها الرعنه من حقا تضارب وتتعرى وتصيح ياقلة رجالى * تأخذوا أبونا وتكابرونا * ترتانه وبيمانه ومفاتيح الخزانه * تباهت الرعنه بشعر بنت اختها * تخلوبى والا استحل بجاربا قالت اذا كان ذا فى قلبك خذيه بلا استحلال * تتغى بالخرج ولا تخلى الغنج * تقعد عيوشه فى ديارتها اما الاحد حاجة فى زيارتها

(حرف الثاء)

ثوب سيدى ثوب حيبى ثوب ستى ثوب قحبه

(حرف الجيم)

جاره بجاره والعداوه خساره * جانى عذولى ورتالى ماهى محبة الا شمساته لى * جاريه وزبديه على باذنجانه مقليه * جاتنا العدوه مكحله قطران لا غيره وقلبها فرحان * جاب ثيابه يغسلهم بلاصابونه معهم

(حرف الحاء المهملة)

حوله وتتنقب بخ * حزانى ماعندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق * حزانى ماعندهم خبز اشتروا لهم بعشره ملوخيه * حزينه ووأعيه * حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعه وطابعت الجبل تجيب دوا للحبل * حوله ونصرانيه لا مليحه ولا أصل طيب * حزينه مالهاش لوك بعت زنبورها خوشكلدم * حزينه مالهاش الا كترت لها بواب * حزينه مالها كامليه طلبت لها خف وشعريه

(حرف الخاء المعجمة)

خطبوها تعززت وكان زمان البوار * خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب * خذى قطيفه واكتمى سرى قالت ما يطاوعى قلبى * خلت ما يعنيها واتبعت حك رجليها

(حرف الدال المهملة)

دري

دری زوجك بكتبتك تمی نهارك مع ليلتك * دق من أسفل ولا تطلع ماانت على القلب

(حرف الذال المعجمة)

ذكرت العجوز اطلالها *

(حرف الراء)

رقصتی مااحسنی كان قعادك أجمل *رعنا يضحكوا بها وهی تضحك تساعدهم * رأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا ماالذا الشكل الوضيع الاذا القماش الرفيع *راحت تبيع ربعه غابت جمعه * راحت رجال الهيبة وبقيت رجال الخيبة * راحت رجال اللحم والقلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسقاس * رأوا خنفسه على مكنسه قالوا ماالذی الصيغه الاذا الحمار الأزعر

(حرف الزای)

زموا الزميرة تبان لك العاقلة من الجنينة *زوجی ماحكم علی قام لی عشيق بشمعه *زوجوا بنت نشادری أسرباتی قالوا قليلات آلخرا تتدوج لبعضها

(حرف السين المهملة)

سودا وتتنقش بسباخ *سودا منقبة قفل على خزانة *سألوها عن أبيها قالت جدی شعيب

(حرف الشين المعجمة)

شدی قرطاسك من عندموسه قالوا داشی مافرحتی به وانتی عروسه *شامته ومعزيه

(حرف الصاد المهملة)

صارت القحبة واعظه *صارت القوية شاعره

(حرف الضاد المعجمة)

ضحك ابن سنه غمی على أمه قالت ماأخف دمه

(حرف الطاء المهملة)

طلعت ترحم نزلت تتوحم

(حرف الظاء المعجمة)

ظريفة وعفيفه ولها نفس شريفه

(حرف العين المهملة)

عمياتحعف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه * عاقله وجابت طفله وجاتها خطار واشترا لها قلقاس دكر وحطب أخضر فی نهار مطر وقالوا لها اطبخی على قدر لحيه تقع الصلحه * عجوزه وجابت علام اداجنت لاتلام * عجوزه وخوفانه دی داهيه كانه

(حرف الغين المعجمة)

غيرك يقوم مقامك عليش قلبی أعذبه

(حرف الفاء)

فرحت خزينه خربت مدينه

(حرف القاف)

قالوا اللغاني ارزقوا قلبوا عصايبهم * فعبه ما كنست بيتها كنست المسجد قال وادي فجنبه تطلب الثواب

(حرف الكاف)

كل من تممت هواها صارت سراويلها رداها * كبرني يابرقوقه وبقي لك دبوقه * كانوا مغاني صاروا ملاهي لا راحت ولا جات كما هي * كلي قلبه وباتي هنيه * كأنها من الباسطه قماش على جريدة * كأنها حزمة فجل اصفر وعرقها أخضر * كانها من عمايم اليهود صفرا طويله رفيعه * كانها من بيت الوالي ما يتحدث فيها سوى الحاشيه * كأنها ضبة جعيدي مخلوعه ولا تأخذ شي

(حرف اللام)

لو كان ما ينقش الا السمان بارت المواشط من زمان * للساعة ما جبلت جابت المرسلين * لولا المعاير ما كانت الحراير

(حرف الميم)

ماشطه وتمشط بنتها * من افتكرنا ياسمينا ما انسينا

(حرف النون)

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير

(حرف الهاء)

هش يا دبانه أنا حبلي من مولانا

(حرف الواو)

وجه لا يرى بالذهب يشتري

(حرف اللام ألف)

لا انتي مليحه ولا تغني يا دش تدلي

(حرف الياء)

يعيش المدلل بلا مكال * ياغزالة الاقمار اين كنتي بالنهار * ياما تحت النقاب والشعريه من كل بليه * يا من ملتنا ما كان حلتنا * للساعه ما النافي العشره سنه

الباب السابع في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول

(الفصل الاول في البيان والبلاغة) اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هي أن يقال بلغت المكان اذا اشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين في قوله تعالى أم لكم أيمان علينا بالغة اى وثيقة كأنها قد بلغت النهاية وقال اليوناني البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندي البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندي يجب للبليغ أن يكون قليل

اللفظ كثير المعانى * وقيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى واحسنهم بديهة ولو لم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة * وقال البحترى خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكلنا بقصور عنك نعترف
مهد لى العذر فى نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) ان ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك امك انما أمرك ان تقطع لسانى بالصلة فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ ومعانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ويخيط الالفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا * وقال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه فى حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

(الفصل الثانى فى الفصاحة) قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم ان البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم فى صدرى وان قصر سقط من عينى * وقد اختلف الناس فى الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعانى ومنهم من قال انها لا تخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعانى وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف فى كلام الناس والذى أراه فى ذلك ان الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف فى الاستعمال بشرط ان يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن فى الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة فى مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما * كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك يا عم في جمالك اى فصاحتك * وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها الحمد لله كثيرا * فقالت * حيث أنشاك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قلت للمجنون اجزني هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وابراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا * وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا أقللت من الكلام اكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك * وقال الشعبي كنت احدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها * وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بيقظة ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله * ومنه ما حكى ان المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شئ فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

سحبان يقصر عن بحور بيانه * عجزا ويغرق منه تحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه * بعماله بحجة وجواب

وقيل انه حج مع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان

ان

أن ابن المنكدر لا يفطن فرأى ابقية فيها امرأة فقال لا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل
صاعقة وكان أصحاب أبي علي الثقفي اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة
فقالوا داحضة * وكتب ابراهيم بن المهدي اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل
البلاغة فان ذلك العناء الأكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفل ويقال القول
على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت
كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى
مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضي الله
عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه الا فتحته ولا
فتحت بابا فأرادت اغلاقه الا أغلقته ومن غريب الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من
الذكاء والفصاحة ما حكى أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه
فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاؤا
بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم اني لعاقل فأشار بيده الى الليل فقال ما هذا
قال الليل قال ما أراك الا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدري وانه لكثير
فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم يكرموا فلانا
يعني أسيرا كان في أيديهم من بني بكر بن وائل فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا
وشكت النساء وامرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الاصهب
بأمارة ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري أخي الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا
لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا
عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا
السلاح وأما قوله شكت النساء اي أخذت الشكاء للسفر وأما قوله أعروا ناقتي الحمراء اي
ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الاصهب اي الجبل وأما قوله أكلت معكم حيسا اي ان
اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا
أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا واسرت طيء غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه
فاشتطوا عليه فقال أبوه والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيء ما عندي
غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم
الفرقدين يعني في هروبك على جبل طيء ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجا وكانت
علية بنت المهدي تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره في
شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى
عنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت اي يأمر
بالوصية وينهى عن النوح ويقال ما رأيت فلانا اي ما ضربته في رئته ولا كلمته اي
ما جرحته فان الكلوم الجراح وما رأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع
النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رأيت
فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع العاثر الذي كبا لوجهه والساجد المدمن النظر

والمصلى الذى يجىء بعد السابق وما اخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبيرة من الغزل والفروجة الدراعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره أى عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه ان لعن عليا رضى الله عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم ان رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله عنه فلقد لقى ربه وأفرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا او كرها فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان تعفنى فهو خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى شفتاى به ابدا فقال قم فاصعد قال اما والله لانصفنك فى القول والفعل قال وما انت قائل ان انصفتنى قال أصعد المنبر فأحمد الله واثنى عليه واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى ان العن عليا الا وان معاوية وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول اللهم العن انت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على هذا ولا انقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية اذا نعفيك يا أبا بحر وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب ان عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضينى منك الا ان تلعنه على المنبر قال افعل فصعد المنبر ثم قال بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبى سفيان قد أمرنى ان العن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نية المتكلم ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين اقر الله عينك وفرحك بما آتاك واتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين ايتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره واما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه وقال أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها اقر الله عينك اى أسكنها عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت واما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) ان بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له اطال الله بقاءك واقر عينك وجعل يومى قبل يومك والله انه ليسرنى ما يسرك فاحسن اليه وأجازه

على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به فى أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناه سكن الله حركتها أى أعماها وأما قوله وجعل يومى قبل يومك اى جعل الله يومى الذى ادخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرنى ما يسرك فان العافية تسره كما تسر الآخر فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ما تهيأ للمستتر مراد ولا سلم له فى التخلص قباد وكان حماد الراوية لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصحف فى نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجحد بآياتنا الاكل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاى وترك الهمزة عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لا نبتغى باسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لا يقع الامن الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فاكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون بشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وانزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى اذا عزم على ظلم أو جور فعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته اى أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى ان الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين اى ليشكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فذهب الى بلاد التتر وتوصل الى أن صار وزيرا عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك تضرر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا عرفه فيه اننى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى ان يحضر فاذا حضر قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه

بالحمدلة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة في الكتب فشددان ثم اوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه في غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرحل فهمه وكتب جوابه بانه يحضر عاجلا فلما أراد أن ينهي الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل في آخرها ألفا وأراد بذلك انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك

(وحكي) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواره فقال لها لمن هذه فقالت يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتني بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائر افقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتني فقالت بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل في قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاي قول الشاعر

قل للذي شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا * قد اكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فنسي نعله في الدار هذا ما كان من الملك وأما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما واخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة بيت أبيك قالت وما ذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يا فيروز اما

أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن نحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فأتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال اخو الصبية أيد الله مولانا قاضي القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه واخرب بئره فالتفت القاضي الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضي هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن اريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت ان يغتالني فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشئ من ذلك والله أعلم وهذا كله مما يأتى به الانسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ومنه ما يحده المتستر في أمره من الراحة في كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لان في المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى في غزوة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا با صحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يرددها لينظر أى العرب يقال لهم ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال للكافر الذى سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهديني السبيل وقد صدق فيما قال رضى الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام وكما حكى عن الامام الشافعي رضى الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول في القرآن فقال الشافعي اياى تعنى قال نعم قال مخلوق فرضى خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي الا نفسه وكما حكى عن ابن الجوزى رحمه الله تعالى انه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم على رضى الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته فأرضى الفريقين ولم يرد الا أبا بكر رضى الله عنه لان الضمير في ابنته يعود الى أبى بكر رضى الله عنه وهى عائشة رضى الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا أن الضمير في ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فاطمة رضى الله عنها وكانت تحت على رضى الله عنه فهذه منه جيدة حسنة وكلمة باتت جفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

(الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال) دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال يا صبى تتكلم فى هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به ثم قال ألم تر ان الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود أولى ولما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبى يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان فى مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذى من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك فى منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضى الله عنه عظنى يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان اناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر فى سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضى الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

(وحكى) ان البادية قحطت فى ايام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء أحد ان يدخل على الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما فى طيه الا بنشره فان أذن لى أمير المؤمنين ان أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال أنشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه اصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة دقت العظم وفى أيديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا فى واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبوادى بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم وقيل ان سعد بن ضمرة الاسدى لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندى ألف ناقة على انك تدخل فى طاعتى فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم اجسامهم وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * انى امرؤ معشر شم الذرى زهر

فلا تغررنك الاجسام ان لنا * احلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا ابصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فان ألم به أمر فأفظعه * رأيته خاذلا للاهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لانقض منها المفتول وابرم منها المحلول واجيلها حتى تحول ثم أنظر فيها الى ما تؤول وليس للدهر بصاحب من لا ينظر فى العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له يا سعدان اقمت واسيناك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا وما فيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه (وحكى) أن هرقل ملك الروم كتب الى معاوية ابن أبي سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولا شئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وارحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشئ فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى وأما لا شئ فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لا أب له فالمسيح وأما الرجل الذى لا أم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل وأما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد ان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معتذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشئ الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فأجل وبعد غد فأمل واما البرق فمخاريق بايدى الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذى فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار

مبصرة ولولا ذلك المحول لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ودعا بعض البلغاء
لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم
تحتسبه (وحكى) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من
جملتها ان قال له من اكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين
واكرمهم للهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على
الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال اطولهم جفوة وادومهم صبوة واكثرهم
خلوة واشدهم قسوة قال فمن اشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف
واتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف
المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل
الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال
فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا
قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب احسيب هو ام غير حسيب قال اصلح الله
الامير ان الرجل الحسيب يدلك ادبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله
وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل
الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها
العقلاء عرفوها واكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبوك فما
العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر
غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه
المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على
شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك
من النساء خبر قال اصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من
امهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة
فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته
وتنغصت لذاته فاكرمهن اعفهن وافخر احسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن انتن من
الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فما انت قائل له قال
اصلح الله الامير اقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى اظنك لا تقول له ما قلت وكأنى
بصوت جلاجلك يجلجل فى قصرى هذا قال كلا اصلح الله الامير ساحدد له لسانى واجريه فى
ميدانى قال فعند ذلك امره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان
بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على
ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغده قبل ان يتعشى بك
فأخذ حذره عند ذلك ثم امر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا
فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط
عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه

وقد اشتد الحر وحمت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا أعرابي قال اصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه واعظم قال ايتهن تعني قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه امنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال اكره ان يكون لي اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فأين تريد قال امشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفار فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي ان ادخل قبتك قال خلفك اوسع لك فقال قد أحرقني حر الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء احرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعاما ولا شرابا قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع اضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابي يا جار بني كعب قال الغضبان بئس الشيخ أنت فوالله ما ظلمك احد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان ابن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لاظنك حرورياً قال اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما اقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته * فاظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرض يابسة الجيش بها ضعاف هزلى ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأني بصوت جلاجلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا ايها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها

وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما
حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى
منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم
الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا
ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على
المأمون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك
بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن له فى الكلام فقال تكلم فقال
الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم
النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين
ونسأل الله أن يمد فى عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق
لا تعفوا آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده
والامين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك
الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب
النعمة وفى نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر
أمير المؤمنين فى الضياع التى أفادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل اسلافه الطاهرين
الراشدين وقد قمت مقامى هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة
الراشدين والمهدى ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد
خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التى أفرع عليها غصنى واحتنكت بها سنى وريش بها
جناحى متعوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين
قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن على جدى وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه
أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق فى نصابه وأقره فى داره وأربابه يا أمير المؤمنين
ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار
والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهذا نعم آبائك اللاتى
غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا فى الاصلاب ونطفا فى الارحام وقدمنا فى
القرابة حيث قدمنا الله منك فى الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت
لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ
من خوفك القلوب والصدور وبك يردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك
بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤل عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع
الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله
جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم
أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد

هم الصدر المقدم من قريش * وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت * وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تذلكم لحظات عين * وكيف يقل سوددك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه ومن حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء ما حكي ان عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين انف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين انا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول انف اسنان اذن بطن بنصر برة ترقوة تمرة تينة ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دراد برذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هنة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيدنا عليهم شيأ أعطوه ما يتمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك أتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامي فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكي) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولي النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها وأملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكي وأنف حمي فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين انا للعراق قال ومن أنت لله أبوك قال انا الليث الضمضام والهزبر الهشام انا الحجاج ابن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهف الضيوف ومستعمل السيوف قال اجلس

لا ام لك فلست هناك ثم قال مالى أرى الرؤس مطرقة والالسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال انا مجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال انا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال الملك عنى وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلنى قطعته ومن نازعنى قصمته ومن خالفنى نزعته ومن دنا منى أكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته فهذه آيتى وعلامتى وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلونى فان كنت للاعناق قطاعا وللاموال جماعا وللارواح نزاعا ولك فى الاشياء نفاعا والا فليستبدل بى أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذى تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هىء له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة اذ اتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أميرا على العراق فتطاولت الاعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشى وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد باهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه واتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان فى المسجد يومئذ عمير بن ضابى التميمى فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له اسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن ضابى وقال لعن الله بنى أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرا كما هو ما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيأ فقال انى لا اعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شئ نطق به ان قال والله انى لارى رؤسا أينعت وقد حان قطافها وانى لصاحبها وانى لارى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بى لانكم طالما اثرتم الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لانكلن بكم فى البلاد ولاجعلنكم مثلا فى كل واد ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وانى يا أهل العراق لا أعد الا وفيت ولا أعزم الا أمضيت فاياى وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا

واسمعوا

واسمعوا فليس مني الاهذار والاكثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف
حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم انى وجدت الصدق مع البر ووجدت
البر فى الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور فى النار وقد وجهنى أمير
المؤمنين اليكم وأمرنى ان أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى
أقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ
كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من
بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على
الناس فقال أسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيأ عليه هذا أدبكم الذى تأدبتم به أما والله
لأؤدبنكم أدبا غير هذا الادب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال
وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم
فجعلوا يأخذونها حتى اتاه شيخ يرعش فقال أيها الامير انى على الضعف كما ترى ولى ابن
هو أقوى منى على الاسفار أفتقبله بدلا منى فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل
أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن صابئ الذى يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ فى بطنه فكسر ضلعين
من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان
ما فعلت يوم قتل الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا سياف اضرب عنقه فضرب
عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر * ومن حكايات الحجاج ما حكى أنه لما أسرف
فى قتل اسرى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان
فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف فى الدماء وتبذير فى العطاء وقد
حكمت عليك فى الدماء فى الخطا بالدية وفى العمد بالقود وفى الاموال أن تردها الى مواضعها
ثم تعمل فيها برأيى فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لى فما
أغناني عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك منى أمران لين وشدة فلا
يؤمننك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا
تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائى بالذى أنا طالبه
فان ترنى عملة قرشية * فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمننى والحوادث جمة * فانك تجزى بالذى أنت كاسبه
فلا تعد ما يأتيك منى وان تعد * يقم من به يوما عليك نوادبه
فلا تمنع الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطى الحقوق فانما النوافل شئ لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر

اسرافي في الدماء وتبذيري في الاموال ولعمري ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلي العصاة اسرافا واعطائي المطيعين تبذيرا فليمض لي أمير المؤمنين ما سلف ووالله ما أصبت القوم خطأ فأوديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقاد بهم ولا قتلت الا لك ولا أعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنا لا أبغي رضاك وأتقي * اذاك فليلي لا توارى كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذي هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقص الذي تسري الي عقاربه
وأعطي المواسي في البلاء عطية * ترد الذي ضاقت علي مذاهبه
فمن يتقي بؤسي ويرجو مودتي * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمري اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم مني اردته * وما لم ترده اليوم اني مجانبه
وقف بي على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتي ولم يعاود لامر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومني على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هناك (وفي مروج الذهب للمسعودي) أن أم الحجاج وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب له دبر وأبى أن يقبل الثدي وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فاخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا والعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدي فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كلدة فدخل عليها يوما في السحر فوجدها تخلل اسنانها فطلقها فسألته لم فعلت فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفيك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضي الامر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفي فاولدها الحجاج وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف في القتل على ما لا يبلغه وصف أحصي من قتله الحجاج بأمره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبي أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقد مضى القول

فى ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

(ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن)

*(حكى) عن أبى عبد الله النميرى انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أى العرب أنت قالت أنا من بنى كلاب قال وما الذى حملك أن تكونى من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أى الناس أنت فقال أو عندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أى مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا وممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أى كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها فى المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أى قريش قال من أجملها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت من أى هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لاتزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهى والدة ولده العباس والله أعلم

(وحكى) أن هندا بنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ اليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل
فان ولدت فحلا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد

الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ذممنا وهذه المائتا ألف درهم التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلاب بنى ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلى الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملى من المعرة الى بلدك التى أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند فى محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء دايتها اكشفى لى سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها فى وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشد يقول

فان تضحكى منى فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

وما نبالى اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت يا جمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت فى بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لولا ها اخذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بانفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع منى ما اقول فقال قولى فأنشدت تقول

ماسلم الظبى على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف
الظبى فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها * وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة فى الجمال فائقة فى الكمال غير انها كانت تعرج برجلها فقال لولا ها اخذ بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه فى وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجبه

سرعة جوابها وأمر شرائها * ومن ذلك ما حكي ان كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فمر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزبا وكتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة في جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا في ذلك قالت له يا أبت انا اعلمت معناه قال وما هو لله درك قالت

اهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر خفي الجسام
فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا في الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها (وحكي) ان طائفة من بني تميم كانوا يكسرون أول الفعل فرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد ان يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لاي شئ يا بني تميم ما تكتنون فقالت ولم لا نكتني وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيأ من العروض قال نعم قالت قطع لي

حولوا عنا كنيستكم * يا بني حمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحي حتى أخذت بثارك (وحكي) ان شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا انا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتني امض الى داري وقف بالباب وقل * ألا أيها البنتان ان أباكما * فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال ألا أيها البنتان ان أباكما وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل ألا أيها البنتان ان أباكما أجابتاه بفم واحد * قتيل خذا بالثار من أتاكما * ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فاقر بقتله فقتله والله أعلم * وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال انا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها ألا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل أتي الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون فيها

قالوا عاجلها بالقتل أيها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرامن وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا أرجئه وأخاه وأتي بأخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت اني لأستحي أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه ان أصدقة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وان فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فأدى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة في يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضي الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب علي بزوجها فأحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال أفي أمر طعام أم شراب قال بل في أمر مباعدتك اياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم انشده * ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده * فلست في أمر النساء احمده

فأنشأ الزوج يقول

زهدني في فرشها وفي الحلل * أني امرؤ اذهلني ماقد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقا لم يزل * في اربع نصيبها لمن عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله تعالى احل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا ادري من اي الحكم اعجب امن كلامهما ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة * (حكاية المتكلمة بالقرآن) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الى

الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتي قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت ان تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبري حتى اعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت امشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولو الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت انهم ادلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا انا بشبان كأنهم الاقمار قد اقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى احدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه امنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك)

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما اعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * اخاف اذا مامت ان لا أذوقها

قال بل انا الذي يقول أبي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته * وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح ارويه من العلق
واطعن الطعنة النجلاء عن عرض * واكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة *(وقيل) أخذ عبد الملك بن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي فقال له الست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداتك فكان ذلك سببا لنجاته ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك ومالله من شريك وان أباك لاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن امية وما امية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

ايشتمني معاويه بن حرب * وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه * وربات الحجال من الغواني

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا اجرك رسنه وأولاك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والامر لك وهو عني مدبر فلو رأيتني وهو علي مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت واستعظمت مني ما استحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف اقدامكم من البلل حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووجد الحجاج على منبره

مكتوبا

مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم قال له أنتم معشر بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال له عقيل وانتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فأقبل عليهم وقال يا بني هاشم ان خيري لكم لممنوح وان بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد بابي دونكم ولما نظرت في امري وأمركم رأيت أمرا مختلفا انكم ترون انكم احق بما في يدي مني واذا اعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فأقبل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله اوسع منك ولئن اغلقت دوننا بابا لنكفن أنفسنا عنك واما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر اكفاك أم أزيدك قال كفاني يا ابن عباس * وقال معاوية يوما أيها الناس ان الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين ونحن عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وانتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك وقال معاوية لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية بن قدامة ما كان اهونك على قومك اذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب قال اسكت لا أم لك قال أم لي ولدتني أما والله ان القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وانك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وأسنة حدادا فقال معاوية لا أكثر الله في الناس مثلك يا جارية فقل له قل معروفا فان شر الدعاء محيط باهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونني اذا قصرت في عطاياكم فقال له الاحنف وانا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال حين هتك سترك * ومن ذلك ما حكي أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما

فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ماولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أوتعرف من انا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة * وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال اني أخاف أن تدركه رقة فيسجد * وقالت عجوز لزوجها أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا وقال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد * وتنبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث الى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ماذكر أن ابراهيم مغني الرشيد غنى يوما بين يديه فقال له أحسنت أحسن الله اليك فقال له يا أمير المؤمنين انما يحسن الله الي بك فأمر له بمائة ألف درهم * وقال رجل لبعض العلوية انت بستان فقال العلوي وأنت النهر الذي يسقى منه البستان وذبحت عائشة رضي الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما عندك منها فقالت ما بقي منها الا الكتف فقال كلها بقي الا الكتف وقال عبد الله بن يحيى لابي العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف أنت لنا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم في حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو عمرك الله ابن سعد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله قال انت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك يا أمير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار قال عمرو وددت لو أن الابيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبي صغير أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص لفص كان في يده قال نعم يا أمير المؤمنين اليد التي هو فيها أحسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة وقيل ان رجلا سأل العباس رضي الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي أأنت سعيد قال أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أأنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكني اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية واسأل الله تعالى العون والعناية

(الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات

(وهفوات الامجاد)

قيل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله وأنتم في مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الأمل فكأني بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواصله وهيئت أكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالي بجسده البالي فهو في التراب عفير والى ما قدم فقير وقال الشعبي ما سمعت أحدا يخطب الا تمنيت ان يسكت مخافة ان يخطئ ما خلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا (وخطب علي رضي الله عنه) فقال في خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم اخذكم وان فررتم منه أدرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر الا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار الا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان الا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال الا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ادخلنا الله واياكم دار النعيم وأجارنا واياكم من العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال في بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضي الله عنه خطب بالبصرة فقال أيها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو وكل صمت في غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في أضغاث أحلام قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان يهلك فهذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبي فهذا وأشار الى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء

(فصل في ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم) قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي وقيل أمسك على النابغة الجعدي اربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بني جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا اسر منا بالظفر بعدونا وقال ابو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال افرضت الفرائض قال نعم قال اروبت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زياد بارك الله لك في ابنك فاروه الشعر فقد وجدته كاملا واني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ارووا الشعر فانه

ونهب نفوس أهل النهب أولى * بأهل المجد من نهب القماش

أخذه من قول أبي تمام

ان الاسود اسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال أبو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى أستأذنوا عليها وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

واي ساعة احلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلي بسلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول

يقر بعيني ما يقر بعينها * واحسن شيء ما به العين قرت

وليس شيء اقر بعينها من النكاح افيحب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما اراه هوى وانما طالب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

فما له همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

أهيم بدعد ما حييت فان امت * فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة والذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم واحجم رواتهم عن جوابها رضي الله عنها (وروى) ابن الكلبي قال لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك اني قد خلا زمني

ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * أني لدى الباب كالمشدود في قرن

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضي الله عنه مالي وللشعراء فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي قال لا قرب الله قرابته

ولا حيا وجهه ابليس هو القائل

ألا ليتني في يوم تدنو منيتي * شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي * هنالك أو في جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاء عافي الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذري قال ابليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
اظل نهاري لا أراها وتلتقي * مع الليل روحي في المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال ابليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

ابعده الله فوالله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصاري قال أبعده الله والله لا ادخل على أبدا ابليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بيني وبين سيدها * يفر مني بها واتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال ابليس هو القائل يفتخر بالزنا في قوله

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الاحراس لا يفطنوا بنا * ووليت في أعقاب ليل أبادره

والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبي قال ابليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمري * ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا * واسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عني فوالله لا يدخل على أبدا ولا وطئ لي بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال ابليس هو القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدي بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول

ان الذي بعث النبي محمدا * جعل الخلافة في الامام العادل
وسع الخلائق عدله ووقاره * حتى ارعووا وأقام ميل المائل

انى لارجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن بعدك يكفى فقد والده * كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر
أاذكر الجهد والبلوى التى نزلت * أم قد كفانى مابلغت من خبرى
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة جاءته على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير مادمت حيا لايفارقنا * بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال والله يا جرير لقد وليت الامر وما أملك الا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله ابنى وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا أمير المؤمنين انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك يا جرير فقال ورائى ما يسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض ثم انشأ يقول

رأيت رقى الجن لا تستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومما جاء فى كبوات الجياد وهفوات الامجاد)

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته قلت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو ابن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا أبا بحر ما كان ابوك فى قومه قال كان اوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان ابوك قال كانت له فتوة ومروأة ومكارم أخلاق ولم يكن اهتم سلاحا وقال سعيد بن المسيب ما فاتنى الاذان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد (وقال قتادة) مانسيت شيأ قط ثم قال يا غلام ناولنى نعلى قال النعل فى رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بنى امية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادى حدا به يوما فقال

ان عليك ايها البختى * أكرم من يمشى به المطى

فقال هشام صدقت وذكر عنده سليمان واخوه فقال والله لاشكونه يوم القيامة الى أمير المؤمنين عبد الملك ولما ولى الخلافة قال الحمد لله الذى انقذنى من النار بهذا المقام قال النابغة اى الرجال المهذب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما اشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لايموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن ابى

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة اقوام أفئدتهم مثل افئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعاني أجبته ومن استغاثني أغثته ومن استنصرني نصرته ومن توكل علي كفيته فأنا كافي المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكي) أنه كان في زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففي بعض الايام رؤي عبد يصفق ويرقص ويغني فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمني منها فلهذا أنا لا أبالي فانا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكي) أن حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم أن يذهب الى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيأ ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ما تكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها الى السماء وقالت الهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وانك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير بابكم يستسقيكم فرفعت زوجته رأسها الى السماء وقالت الهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير ياسيدي لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيأ وأخبرت انهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروأة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لاصحابه من

أحببني فليلق منطقته فخل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لا تمنكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واسترد ها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ماهذا البكاء انما يجب أن تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله انما بكائي كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد طرفة عين اللهم انظر الى أبينا ودبره بأحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الامير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى أكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذي قضى عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن تنفعك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام * ورفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله له الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي حاله وماله وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا لا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمروا بمن معي ومن صحبني الى مكان آخر وأنا أتفقد الدار وأتأمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته انه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له

أطباق الفاكهة فقال تقدم يامنارة كل معنا فتأملت تأملا كثيرا اذلم يكنني فقلت ما آكل فلم يعاودني ورأيت مالم أره الافي دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت ليست لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت الى أصحابي فلم أجد أحدا منهم عندي فحرت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما أقدمك يامنارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت انه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر ايمان البيعة لايجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني ومد رجليه وقال هات يامنارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت ياهذا ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى انفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ماتدري ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد أخطأت فراستي فيك يامنارة ماظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الالوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامي لاتصلح لمخاطبة الخلفاء اما نزوحي على ماذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى علي بأمر فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر الله علي بشيء فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالي ذنب فأخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين ببهتان وأمير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتي فهو لا يستحل مضرتي وعلي عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم أعرض عني وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال هات يامنارة أخبرني من يوم خروجك عني الى يوم قدومك علي فابتدأت أحدثه بامورى كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدي لاصحابي فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه أسفر وجهه واستبشر فلما اخبرته بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وماقلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه وارعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله أخرج اليه وانزع قيوده وائتني به وأدخله علي مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه

واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع شملي بأهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عماله ما احوجني الى سؤال قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يا منارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذي أخذته منه ثم في حفظ الله ووداعته ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه * وروى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملآنة وخزائني لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طلبتني وجدتني وان أنست بغيري فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ما قد قسمته لك وكنت عندي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فاني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط قال الشاعر

وما ثم الا الله في كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه
وكم حالة تأتي ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم انفه

وللمؤلف رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن في الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

(الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله) جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يا رسول الله ما القناعة قال الاياس مما في أيدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهي الشئ فيدافعه سنة قال الكندي العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فاعيا فأوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هي

اني رأيتك قاعدا مستقبلي * فعلمت انك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقا * فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الاذى عن نفسه في رزقه * لما تيقن انه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة

والتجارة والفلاحة وفي ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ماهم فيه فالحائك اذا رأى من صاحبه تقصيرا او خلفا قال ويلك يا حجام والحجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك يا حائك بفعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحان الله من مدبر قادر حكيم الا ترى الى البدوي في بيت من قطعة خدش معمد بعظام الجيف كله معه في بيته لباسه شملة من وبر او شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلي زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو في مفازة لا يسمع فيها الا صوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه يا بني اذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة فانها مال لا ينفد وإياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شيء الا أغناك الله عنه وأصاب داود الطائي فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبي حنيفة رضي الله عنه بأربعمائة درهم من تركة أبيه وقال هي من مال رجل ما أقدم عليه أحدا في زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيئا لقبلتها تعظيما للميت واكراما للحي ولكني احب أن أعيش في عز القناعة وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وأنشد المبرد

ان ضن زيد بما في بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط
ان الذي قدر الاشياء بحكمته * لم ينسني قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة ارفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدي فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما ملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شيء فقالا له انه لم يدع أحد شيأ لله الا عوضه الله منه بدلا فما عوضك عما تركت له قال الرضا بما أنا فيه وقال الثوري ما وضع أحد يده في قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل من رضي بما قسم الله له بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس في الشتاء جلالي ونور القمر سراجي وبقل البرية فاكهتي وشعر الغنم لباسي أبيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب انا الذي كببت الدنيا على وجهها بيت مفرد

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يؤرقه

* وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شيء من أرزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها وقيل وفد عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولوقعدت أتانى ليس يعيينى

وقد جئت من الحجاز الى الشأم فى طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجبهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بألفى دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ امير المؤمنين منى السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فأكديت فرجعت فأتانى رزقى فى منزلى ولما ولى عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصارى وثقفى فلما سار تخلف الانصارى وقال الذى أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطينى فوفد الثقفى وقال أحوز الحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصارى قال رجع الى أهله فأمر للثقفى بأربعة آلاف دينار وبعث الى الانصارى بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفى وهو يقول

فوالله ما حرص الحريص بنافع * فيغنى ولا زهد القنوع بضائر

خرجنا جميعا من مساقط روسنا * على ثقة منا بجود ابن عامر

فلما انخنا الناجعات ببابه * تخلف عنى اليثربى ابن جابر

وقال ستكفينى عطية قادر * على ما يشاء اليوم للخلق قاهر

فان الذى أعطى العراق ابن عامر * لربى الذى أرجو لسد مفاقرى

فقلت خلالى وجهه ولعله * سيجعل لى حظ الفتى المتزاور

فلما رآنى سال عنه صبابة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر

فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضائرا شئ خلاف المقادر

قيل أوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب

ولا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل

ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل

وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل

فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوى العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أترانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبى وابن نبى * ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك على بغلتى فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على وفى يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال على رضى الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له وقيل لراهب من أين تأكل فأشار الى فيه وقال الذى خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين وقال سليم بن المهاجر الجبلى

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فما غشيت لم آت البخيل ولم اقم * على بابه يوما مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه أن يرى * الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخي خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك في رزقه شك في خالقه وقال أبو حازم مالم يكتب لي لو ركبت الريح ما أدركته وقال عمر بن أبي عمر اليوناني

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه * واني في الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستاني

غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشئ لا به

وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندي * بين القنا والاسنه
والخيل تجري سراعا * مقطعات الاعنه
من أن يكون لنذل * علي فضل ومنة

وأنشد أعرابي

أبا مالك لا تسأل الناس والتمس * بكفيك فضل الله فالله اوسع
ولو تسأل الناس التراب لاوشكوا * اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال عليك باليأس مما في أيدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشئ في السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لو لم نعش الا من حيث نعلم لم نعش وقال أعرابي أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك وقال المعري

اذا كنت تبغي العيش فابغ توسطا * فعند التناهي يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهي أهلة * ويدركها النقصان وهي كوامل

وقال آخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص * ولا تعكر الا في الزيادات

وقال أعرابي استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصري

وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولي في غنى نفسي مراد ومذهب * اذا انصرفت عني وجوه المذاهب

وقيل ينبغي ان يكون المرء في دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخي قال لي ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرني عما أنت عليه قلت ان رزقت أكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ

فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هي القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال آخر

وان القناعة كنز الغنى * فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني له منهمك
فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلي الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ العشاء ووجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكي من الفرح ويقول باي يد كانت مني تركت مثلي على هذه الحالة والله تعالى أعلم (الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فابليت وتصدقت فأمضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

وقال آخر وأجاد

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفي تعب

وقيل للاسكندر ما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فأقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي ما أبلغه وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل سيء العمل وقيل من جرى في عنان أمله كان عاثرا بأجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن أبو العباس أحمد بن مروان في قوله

وذي حرص تراه يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد

ولقد أحسن من قال في الجناس الحقيقي

اذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم انت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد ابن المعذل

ولي أمل قطعت به الليالي * أراني قد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الاماني فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط في الدنيا ولا في الآخرة قال قس بن ساعدة

وما قد تولى فهو لاشك فائت * فهل ينفعني ليتني ولعلني

وقال آخر

ولا تتعلل بالاماني فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب

وقال آخر وأجاد

الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المنى في الصدر وسواس

وقال آخر

شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاء فما ندرى أندركه * أم يستمر فيأتي دونه الاجل

وقال أبو العتاهية

لقد لعبت وجد الموت في طلبي * وان في الموت لي شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتي فيما خلقت له * ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي

وله أيضا

تعالى الله يا سلم بن عمرو * اذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وقد ضمنت البيت الاخير فقلت

ايا من عاش في الدنيا طويلا * وافنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام او حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * اليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء في الطمع وذمه) قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضي الله عنه ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفي الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال الذين يعملون به قال فما اذهب العلم عن قلوب العلماء بعد ان علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس واجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا ثم افترقوا

وهم مجمعون على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلمي ان نفع * ما الذل الا في الطمع
من راقب الله نزع * عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقال سابق البربري

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران في جنازة الا قدرت أن الميت أوصى لي بشئ من ماله وما زفت عروس الا كنست بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها الي قال بعضهم

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي استدعاك تطلب ما لديه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واختلف أهل التأويل في أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه احدها انه امره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها انه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها انه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان في غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي وقال الحسن الناس ثلاثة رجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة وأما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة واني لاستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال اعرابي لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق ان لا يخيب رأيه وقيل الرأي السديد احمى من البطل الشديد

قال أبو القاسم النهروندى

وما ألف مطرور السنان مسدّد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى ان يترددا

فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا * فان فساد العزم ان يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكأنما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

ولمحمد الوراق

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى * عدلت عن الامر الذى كان أحزما

فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الامر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما

وقال آخر

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

ووصف رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكون أول مشير واياك والرأى الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لجوج وقيل ينبغى ان يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكم ناقد فى شئ ضعيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير ان يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق أحدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم أيضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك واذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من اذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجانى بمن لا ذنب له

وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتبا بان تقول أنت فعلت وأنت أمرتني ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال افلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر في السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

بصير باعقاب الامور كأنما * تخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاوروا الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولما أراد نوح بن مريم قاضي مرو أن يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وانت تستفتيني قال لا بد ان تشير علي قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى * وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما يحب * وقال بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا * وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له في غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكى) ان رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمي قال ركبني دين اثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه وضاقت علي الارض ولم اهتد الى ما أصنع فشاورت من اثق به من ذوي المودة والرأى فأشار علي بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له تمنعني المشقة وبعد الشقة وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت اكباد الابل من يثرب فانه أشار علي بعض ذوي الحجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكني رأيتك أهلا لقضاء حاجتي فان قمت بها فاهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم ايأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فأخذني معه فوجدت في خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الي فلما رأيت ذلك لم املك نفسي فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب بي اليه مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله

على نجح سعيك واحتيا انك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يامن على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطايا بك أهل الارض قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشير على وعاهدت الله تعالى ان لا اترك الاستشارة في جميع أموري ماعشت (وحكي) عن الخليفة المنصور انه كان صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لاتحملها حواسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما افسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساءظنه وتأرق جفنه وقل امنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته الى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه ثم اخرج من كان بحضرته واقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا الى على حمل ثقله فهل أنت في موضع ظنى بك وعامل مافيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى بن موسى انا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على مابعضه يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما اخذت عمى وافكرت في قتله رأيت من الرأى ان اشاور في قضيته من له رأى عسى ان اصيب الصواب في ذلك فأحضرت يونس بن قرة الكاتب وكان لى حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرني بقتله واخفاء أمره فما رأيك في ذلك وما تشير به فقال لى يونس ايها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك ان تدخله في مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل احد من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وابوابا وأظهر لامير المؤمنين انك قتلته وانفذت امره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنى به اذا تحقق منك انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره انكر أمره لك وأخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها واظهرت لأمير المؤمنين انى انفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه انى قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على ان يسألوه في أخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضى اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في مقام الوالد ثم امر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال

ياعيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألني فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فائتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو أردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا أني أمرته بقتله وقد كذب علي قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فاخذوني الى الرحبة واجتمع الناس علي فقام واحد من عمومتي الي وسل سيفه ليضربني به فقلت له ياعم أفاعل أنت قال اي والله كيف لا قتلك وقد قتلت أخي فقال لهم لا تعجلوا وردوني الى أمير المؤمنين فردوني اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما اردت قتلي بقتله والذي دبرته علي عصمني الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حي سوي فان امرتني بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة فأطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع رأسه وقال ائتنا به فمضى عيسى واحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور اسكن عبد الله في بيت اساسه قد بني على الملح ثم أرسل الماء حوله للانذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة (ومما جاء في النصيحة) اعلموا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للأئمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد

بهم السوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى ما يشغل خواطرهم و يفتح باب الوسواس عليهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اولو العزم وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره وفى منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لانصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون فى الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انى النذير فلا يغرركم أحد
لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما ذخائره * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد أعددتك لامر قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الاصمعى

النصح أرخص ما باع الرجال فلا * ترد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها * على الرجال ذوى الالباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
فخالفت الذى لك فيه حظ * فنالك دون ما أملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب ان لا يضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

امرتك امرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما
امرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما
فما انا بالباكى عليك صبابة * وما انا بالداعى لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولا ترفدن النصح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا

وفى مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الرأى يستغششك مالم تتابعه
فلا تمنحن الرأى من ليس اهله * فلا أنت محمود ولا الرأى نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن

وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة * وروينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان * وقال شيخنا محيى الدين النووى رحمه الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها انكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمروا به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع اثر * ومن كلام على رضى الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وانشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له اما بعد فعظ الناس بعملك ولا تعظهم بقولك واستحى من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام * وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما تشق صعود الوعر على الشيخ الكبير * قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان أتيتنى بعبد آبق كتبتك عندى جهبذا ومن كتبته عندى جهبذا لم أعذبه بعدها أبدا * وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظنى واوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد احب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت ان لا تسىء الى من تحب فافعل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات * ولما التقى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب ان القاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام ايا سعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة * ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شىء فاتكما منها فانكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له اما سمعت ما اوصيت به اخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما

ثم أقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وانما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحباه ثم قال يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الأنذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب ميراث الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له وقال الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب اموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الارض لأحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو ان ثوبا من النار وضع على الارض لأحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احذر أن يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وروى زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا ان اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس

عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله تعالى فى ملكه فأدخل عليه الجور فى حكمه فأمسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا و بينه قال مالك فضممت ثيابى مخافة أن ينالها شئ من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولنى هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما منعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوموا عنى فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغى قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضى الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يا رب لا أسألك اليوم الا نفسى وقال سيدى الشيخ أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمنى اكراما جزيلا وأمرنى بدخول مجلسه وأمرنى بالجلوس فقلت أيها الملك ان الله تعالى قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك فى حكمه ولم يرض أن يكون امر احد فوق امرك فلا ترض أن يكون احد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم ان هذا الذى أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان ابن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف واما ناللخائف ثم اتممت المجلس بان قلت قد جبت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لى الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم انشدته

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقال الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع

الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرجه الا عالم فانظر لي رجلا أسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك فقال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيأ فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت اجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيأ فانظر لي رجلا اسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب أمير المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفي اليه فقال اواه من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال جد لما جئناله رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم ان يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك ابا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت واني لاقول هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له أرفق بامير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك فقال له لقد خلعت قلبي بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ان

العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله امرني امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحيها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له اعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان سألني والويل لي أن لم يلهمني حجتي قال هرون انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما أمرني ان أصدق وعده واطيع امره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار فخذها وانفقها على عيالك وتقوبها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا ادلك على سبيل الرشاد تكافئني أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا قال هذا أسيد المسلمين اليوم * واعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ اخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته * وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنهما من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه ويقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال كان الرجل اذا رأى من أخيه شيأ أمره في ستر ونهاه في ستر فيؤجر في ستره ويؤجر في أمره ويؤجر في نهيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيتم أخاكم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم وبالله التوفيق الى اقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول)

*(الفصل الاول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شئ ورويناه في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي في الام اذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر ورويناه في صحيحيهما عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي المسلمين افضل قال من سلم الناس من لسانه ويده ورويناه في

كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما اشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى وأما الآثار عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شيء منها فمما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة واكثم بن صيفي اجتمعا فقال احدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي اكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما انشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني اميه
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

قال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعي فان الصمت اولى واسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على امر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان في اغتمام وقيل لرجل بم سادكم الاحنف فوالله ما كان با كبركم سنا ولا با كثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة اسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع اربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني

وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه فقال ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال على رضى الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بنى اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(الفصل الثانى فى تحريم الغيبة) اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا فى الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهى ذكرك الانسان بما يكره ولو عافيه سواء كان فى دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبه او مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فأما الدين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل فى النجاسات ليس بارا بوالديه قليل الادب لا يضع الزكاة مواضعها لا يجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج أو أعمش أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف أو حداد وحائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سيء الخلق متكبر مراء معجب عجول جبار ونحو ذلك او فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد روينا فى صحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان فى اخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذى حديث حسن صحيح وروينا فى سنن أبى داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وروينا فى سنن أبى داود عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم وروى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزنى فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفرها له صاحبها وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال من عاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جىء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادى بالويل والثبور يعرف اهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس

عند الله اسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الاحنف فى خصلتان لا اغتاب جليسى اذا غاب عنى ولا ادخل فى امر قوم لا يدخلونى فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب احدا فقال لست عن نفسى راضيا فاتفرغ لذم الناس وانشد

لنفسى ابكى لست أبكى لغيرها * لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان واول من عمل السويق ذو القرنين واول من عمل الحيس يوسف واول من عمل خبز الجرداق نمرود واول من كتب فى القراطيس الحجاج واول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو اول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصرى رضى الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فاهدى اليه طبقا من رطب فاتاه الرجل وقال له اغتبتك فاهديت الى فقال الحسن اهديت الى حسناتك فأردت ان أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا احدا لاغتبت والدى لانهما أحق بحسناتى واذا حاكى انسان انسانا بأن يمشى متعارجا أو متطاطئا أو غير ذلك من الهيآت يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما تفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذى لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة * واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع انسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهى سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومما انشدوه فى هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

وكم ازعج الحرص من طالب * فوافى المنية فى مطلبه

(الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة) قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذى يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصرى هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس وهو والهمزة اللمزة وقال على والحسن البصرى رضى الله عنهما العتل الفاحش السئ الخلق وقال ابن عباس رضى الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير

العتل الأكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من أبوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وروينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله قال الامام أبو حامد الغزالى رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغى للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من احوال الناس الا ما فى حكايته فائدة لمسلم او دفع معصية وينبغى لمن حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وأن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن ابى بردة برجل وكان امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغى يعنى ولد زنا قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا ينم على الناس الا ولد بغى وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذى يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذى قدرة فهى المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال فى النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صحيحين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغى لساع أو يستمع لنمام ووجد فى حكم القدماء أبغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعى هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه واما مه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفى المثل السائر من اطاع الواشى ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله

وروينا

وروينا فى كتاب أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى أحد من أصحابى عن احد شيئا فانى احب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر ومن الناس من يتلونون ألوانا ويكونون بوجهين ولسانين فيأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح ام على غش يناجينى
انى لأكثر مما سمتنى عجبا * يد تشج وأخرى منك تأسونى
تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل عنك يأتينى
هذان شيآن قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

وقيل لا لف نحو حجوح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بابى براقش وأبى قلمون فابو براقش طائر منقط بالوان النقوش يتلون فى اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذى لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح و يداه ممدودة واصابعها مضمومة الا السبابة فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور باضعف نسيم يصيبه والذى يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى ابا رياح أيضا ويقال اخلاق الملوك مثل فى المتلون قال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه بابك يا من صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الاحنف فى شئ بلغه عنه فانكره الاحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية واذا اتاه ساع يقول له ان صدقتنا ابغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا اقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه أثيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها ان يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وانشد بعضهم

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن افاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

وقال آخر

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شئ لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

وقال آخر

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال آخر

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت احسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذى أتاها

(ومما جاء فى النهى عن اللعن)

ما روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك وثبت فى الاحاديث الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وانه قال لعن الله المصورين وانه قال لعن الله من لعن والديه وانه قال لعن الله من ذبح لغير الله وانه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وانه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله أعلم

(ومما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

وقال جعفر بن الفراء

من أجل النفس أحياها وروّحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال أعرابى رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير يقول فى خصلتان ما يسرنى بهما رد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس الىّ وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على اطم من

آطام المدينة ونادى باعلى صوته باصباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فأحببت ان تسمعوه قالوا هات يا حسان فقال

وأن امرأ امسى واصبح سالما * من الناس الا ما جنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك واسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية وقيل لعروة أخي مرداس لم لا تحدثنا ببعض ما عندك من العلم فقال اكره أن يميل قلبي باجتماعكم الى حب الرياسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضيل في مرضه نعوده فقال ما جاء بكم والله لو لم تجيئوا لكان أحب الي ثم قال نعم الشيء المرض لولا العيادة وقيل للفضيل ان ابنك يقول وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه ولا يروني فقال ويح ابني لم لا أتمها فقال لا أراهم ولا يروني وقال علي رضي الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفيان الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وقيل لراهب في صومعته الا تنزل فقال من مشى على وجه الارض عثر والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاة امور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه)

روى عن الحسن انه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله في الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم نكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ما هو قال ظل الله في الارض فاذا احسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الا ضاقت عليه رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء وقال مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا السنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمه الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما أحسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لاحد ما انتقل الينا ومر طارق الشرطي بابن شبرمة في موكبه فقال

اراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فما رفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي وقال الجاحظ ليس شيء الذ ولا أسر من عز الامر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن اعناق الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك

خليفة الله فى عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية
خير من سلطان تخافها وقال اردشير لابنه يا بنى الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن
الآخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له اس فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع
قيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة
حتى ولدله ولد فتملك وأغار العرب على نواحى فارس فى صباه فلما أدرك ركب وانتخب
من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع أكتاف سبعين ألفا
فقيل له ذو الاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يسكنوا بيوت
الشعر وان لا يركبوا الخيل الاعراة * وقيل من أخلاق الملوك حب التفرد كان اردشير
اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على أحد
مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة ان يختموا بمثله وكان سعيد بن العاص
بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه
عمامة لم يجترئ أحد من خلق الله ان يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف
الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرنى من سافر الى اليمن انه لا يأكل الاوز بها
أحد غير الملك وقيل من حق الملك ان يفحص عن اسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها
وكان اردشير متى شاء قال لأرفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك فى هذه الليلة كيت
وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضى
الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية أثره وتعرف
الى زياد رجل فقال أتتعرف الى وأنا أعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذى
عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه
الله تعالى فى امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها
وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف أحوالها حتى أبهتنى

(ومما جاء فى طاعة ولاة أمور الاسلام)

أمر الله تعالى بذلك فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ورويناه فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله
الانصارى رضى الله عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله الا
الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم
وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله فى أرضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل
وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله فى الارض به يقوم
الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لذؤيبه كيف
كانت طاعتى لك قال أحسن طاعة قال فأطعنى كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو
شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أمرى فقد
أطاعنى ومن عصى أمرى فقد عصانى وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة ان النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم أمر بالسمع والطاعة لولى الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم ارشدنى الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة ان طاعة الائمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم أركان الملة وان أرفع منازل السعادة طاعة السلطان وان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة برىء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وان الخروج منها خروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا فى أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها فى كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وان يصلح شأننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

* (الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته) *

* (أما صحبة السلطان) * فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال لى ابى يا بنى انى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وانى أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبى رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال اى والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر فى الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير منه اذا اقصاك * وروى ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لى سترا ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل فى قول قائل حتى تستشيرنى قال هذا لك فما لى عليك قال لا افشى لك سرا ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب المستصحب انت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه فى معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اغلظ من ايقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسك بهم تزدد غما * وقالوا اعلم السلطان وكأنك تتعلم منه واشر عليه وكأنك تستشيره واذا احلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدرى متى يتغير منك ويكونون

عوناعليك واياك أن تعادى من اذاشاءان يطرح ثيابه ويدخل مع الك في ثيابه فعل وفى الامثال القديمة احذروا زمارة المخدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فدارمداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق *(وأماماجاء فى التحذير من صحبة السلطان)* فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهى عن صحبة السلطان قال فى كتاب كليله ودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفى حكم الهند صحبة السلطان على مافيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابى لم لا تصحب السلطان على مافيك من الادب قال لانى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويرمى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عنى أربعا لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا عمن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فاهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * فى البحر ترجف دائما من خوفه

ان ادخلت من مائه فى جوفها * يغتالها مع مائها فى جوفه

وفى كتاب كليله ودمنه لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرعون فيك الا ان يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركوبه اخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل ان يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيسا واكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال أبو على الصغانى اياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال

حسان بن ربيع الحميري لا تثق بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤن ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

ارى الملوك بادنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

اذا ما قطعتم ليلكم بمدامكم * وأفنيتموا أيامكم بمنام

فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يغشاكم بسلام

رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام اوبشرب مدام

ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام اوبذم لئام

ثم بحث الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من أمنه الجرىء وخافه البرىء والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم واحوالهم وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى ولو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى دلت هذه الآية على ان الوزارة تشد قواعد المملكة وان يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على ان بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدمى النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفى الامثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله فى انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل فى الخلائق ذكره وترسخ فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفى كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى

وقال آخر

أمرت بالتسهيل في الاذن لي * ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن تراني بعدها عائدا * ولن تراه بعده مستأذنا

وقال آخر

ولقد رأيت بباب دارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير
ما بال دارك حين تدخل جنة * وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر

اذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * محياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر

سأترك بابا أنت مالك اذنه * ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلي مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك أن تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت الا في الحصار وهي فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

وقال أبو تمام

سأترك هذا الباب ما دام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الى نفسي ابنة عيني هجعة واهب فخرج الحاجب فقال له ان رجل ما الذي قال لك قال كلاما لا أفهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه انما أمهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهني لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أمير يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته وجاء النامي الشاعر لبعض الامراء فحجبه فقال

سأصبر ان جفوت فكم صبرنا * لمثلك من أمير أو وزير
رجوناهم فلما أخلفونا * تمادت فيهم غير الدهور
فبتنا بالسلامة وهي غنم * وباتوا في المحابس والقبور
ولما لم ننل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور

وأنشد وافي ذلك أيضا

قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقياكم بوابكم * فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك ياسعد فقال ومالى لا ابكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبك فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجوا أن تكون من أهله واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة * اطوى اليه سائر الابواب
واذا حضرت وغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

(وأما ذكر الولايات ومافيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء فى التفسير ان من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذى فى قلبك حبه خاصة وبهذا اسلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الذى اصاب سليمان ابن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضى لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الالم يجد رائحة الجنة وفى الحديث من ولى من امور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى اماكنها فان كان لله مطيعا اخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به فى نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضى الله عنه سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم اسمع قال نعم وكان سلمان وأبوذر حاضرين فقال سلمان اى والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا فى واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضى الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالارض وروى أبو داود فى السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ابى عريف على الماء وانى أسألك أن تجعل لى العرافة من بعده فقال النبى عليه الصلاة والسلام العرفاء فى النار وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة

الحساب ماود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة وقال الحسن البصرى ان النبى صلى الله
عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خر لى فقال اقعد فى بيتك
وقال أبو هريرة رضى الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جىء به يوم القيامة مغلولا أنجاه
عمله أو أهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدرى يا أمير المؤمنين من اشد
الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيامة
رجل اشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكى فما زال
يبكى حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان الى أبى عبيدة السلمانى يتخيرون
اليه فى الواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا اتولى حكما ابدا وقال أبو بكر بن أبى مريم حج
قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال
احلفوا الى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عشارا ويروى ولا عرافا ولا
بريدا وانا ادلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له اعنا
على غسله فقال لا حتى تحلفوا الى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم
قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا الى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى
عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام وقال أبو ذر رضى الله
عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر انى أحب لك ما احب لنفسى وانى أراك
ضعيفا فلا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق
ما حكى أن من الحكام من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير
وكان ذا بأس شديد فقد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وأن هذه البنت
بكر ذات خدر فسير أردشير يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك
على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة
وليمثلن بهما اخبث مثلة فسار اليه أردشير فى جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر
خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من اجمل النساء وأكمل
البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له ايها الملك
انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل
أبى وقتل سائر اصحابه قبل أن تقتله أنت وانه اسرنى فى جملة الاسارى وانى بى فى هذا القصر
فلما رأتنى ابنته التى ارسلت تخطبها احبتنى وسألت اباها أن يتركنى عندها لتأنس بى
فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما ارسلت تخطبها خاف أبوها
عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض اقاربه من الملوك فقال
أردشير وددت لو أنى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة
فى الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسرى وقال هذه اجنبية من الملك ولا احنث فى
يمينى بأخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها
تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت علمت أنى وانا غلبتك فقال
لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت

انك

انك أقسمت لتقتلني فحملت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك
قتلي فعظم ذلك على أردشير اذ قهرته امرأة وتحملت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها
وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير
عزمه قويا على قتلها خشي أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع
فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية
فى هذا الوقت أولى وهو من الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك
وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها
وهى أولى بالستر ولا أرى فى قتلها استر ولا اهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت
خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الأردن ومعه ضوء ورجال وأعوان
فتحيل الى أن طرح شيأ فى البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه اخفاها عنده فلما
اصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما
وقال أيها الملك انى نظرت مولدى فرأيت اجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس
فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا انا مت ان رأيت وهذا
الحق فيه جوهر اسأل الملك أن يقسمه بين أولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من
أبى وليس عندى شئ اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك طول الرب فى عمرك
وما لك لك ولاولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة
فأخذه الملك واودعه عنده فى صندوق ثم مضت اشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا
حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى انه ان اخترع
له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد اساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم
يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولعمرى
مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير
يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط
والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوكه اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله
وأردشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال
للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى ارى أنى ميت لا محالة وهذا الملك
يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى
بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الأردن وحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها
ولو كنت ابقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها
الملك انها عندى حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك
أحق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الاب وفى
الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك يخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين
غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا هو وانى اعطى كل واحد منهم
صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم

وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند عرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم احضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وانثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك واحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما ابداه هذا الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول)

(الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه ولم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن أبى حازم قال دخل عمر على أبى بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال أتانى وبين يدى خصمان قد فرغت لهما قلبى وسمعى وبصرى وعلمت أن الله سائلى عنهما وعما قالا وقلت * وادعى رجل على على عند عمر رضى الله عنهما وعلى جالس فالتفت عمر اليه وقال ياأبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه وتناظرا وانصرف الرجل ورجع على الى مجلسه فتبين لعمر التغير فى وجه على فقال ياأبا الحسن مالى أراك متغيرا أكرهت

ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلاقلت يا علي قم فاجلس مع خصمك فاخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بابي انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور وعن ابي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا واراد عمر بن هبيرة أن يولي اباحنيفة القضاء فابى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه ابي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا اهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من اهل اليمن قال اقبل سيل باليمن في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب الينا لا تحركوه حتى يقدم الكتابي ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضي الارض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضي الارض من قاضي السماء

واذا عند رأسه سيف اشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبي اوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله مع القاضي مالم يجر فاذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم اني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لان يدخل الرجل اصبعه في عينه فيقلعهما ويرمي بهما خير له من ان يكون قاضيا وقيل اول من اظهر الجور من القضاة بلال بن ابي بردة بن أبي موسى الاشعري كان أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الي فاجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فاقضي له وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن اكثم مع رجل ادعى عليه ثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فاراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله مادفعت لك هذا المال الا خشية أن تقول العامة اني تناولتك من جهة القدرة ثم امر ليحيى بمال وأجزل عطاءه وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبي يوسف بن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع ياغلام ائتني بعمرو ابن أبي عمرو النخاس فانه ان قدم علي الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لأجزت بيعه ولم أردك الى ملكي فليست منزلتك عندي تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فان ذلك عمود

السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم وقال الابرش العكلي يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * فى آخرين ومالها رواضها
حتى اذا ماقام ألف بينها * بالحق حتى جمعت اوفاضها

وفى ضد ذلك قول بعضهم

أبكى وأندب ملة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ماعلمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جاء معك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضي يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم الا قلت مثل ماقال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك مارأيت ميتا يقضي بين الاحياء غيرك وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الاحكام قاضي منى وقاضي كسكر وقاضي أيدج وهو الذى قال فيه أبو اسحق الصابي

يارب عيني أعلج * مثل البعير الاهوج
رأيته مطلعا * من خلف باب مرتج
وخلفه عذبة * تذهب طورا وتجي
فقلت من هذا ترى * فقيل قاضي أيدج

وقاضي شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهري

رأيت رأسا كدبه * ولحية كالمذبه
فقلت من أنت قل لى * فقال قاضي شلبه

وتقدمت امرأة جميلة الى الشعبي فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعي

فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها
فتنته ببنان * كف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فانشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الاشجعي ثلاثين سوطا وحكى ابن أبي ليلى قال انصرف الشعبي يوما من مجالس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهى تقول فتن الشعبي لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبي وقال رفع الطرف اليها ثم قال أبعده الله أما انا فما قضيت الا بالحق وأنشد بعضهم فى أمين الحكم

تماوتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة لتيم

(الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وماجاء فى الديون) أما الرشوة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشي والمرتشي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل فى دين الله الرشا قال الشهيدى وأصحابنا اليوم أقبل للرشا منهم وفى نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من شفع شفاعة ليردّ بها حقا أو يدفع بها ظلما فاهدى له

فقيل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * على وقالت قم فانك ظالم

(وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روى عن أبي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تداين بدين وفى نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس فى نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى له بجنازة لم يسأل عن شئ من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا دينارآن يارسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال على كرم الله وجهه هما على يارسول الله وهو برىء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلى رضى الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله فى أرضه فاذا أراد الله ان يذل عبدا جعله طوقا فى عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا نخرج الى الغزو فقال أشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضى دينه وعن الزهرى قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على احد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوى ان لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوى أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شئ أستقرضه الا استقرضته من نفسى أراد انه يصبر الى ان تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شئ على تركته * فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض سمير قلبي * فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي

وانى لاقضى الدين بالدين بعدما * يرى طالبي بالدين ان لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض من الاصمعي خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه فقال يا أبا سعيد أما تثق بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبي اللهم أوف عنا دين الدنيا باليسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وماجاء في الرياء ونحو ذلك)

(أماماجاء في ذكر القصاص والمتصوفة)

فقد روي عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروى أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأكلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة * قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان اقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكرم وأعظم من ان تذهب منه عقول الرجال * وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال الميعاد بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهم كما قالوا * وكان عمرو قاص يبكي بمواعظه فاذا أطال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة * وقال بعضهم قلت لصوفي بعني جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأي شئ يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة * ووعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فأقبلوا يمزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

(وأماماجاء في الرياء)

فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر ان يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من قبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شئ وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد ان يستظل معه فنهره وقال ان أقتدي بي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلني فقال له الرجل قد علم الناس اني لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما الناس يزعمون اني مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك

أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واسترفضائحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك)

اعلم أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الازمنة أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا نبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فأني لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله مالا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لأبلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل * ولما مات سلمة بن سعيد كان عليه دين للناس ولأمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لأمير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لأحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الارض بك عدلا * وكان احمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم

وينصف المظلوم من الظالم (حكى) ان ولد العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذى كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لى فقال أكرمه لك بمعصية الله عزوجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق فأطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف يهودى لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمنى فأنصفنى منه وأذقنى حلاوة العدل فأعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم أحد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث فى الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودى حقه منه * وروى ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له أصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر لك حاجتى أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعلمه أنه أقوى من أبيه فاذا ازداد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه انه أقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتنى والا رفعت أمرى الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل ننصفك وأمر ان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه * وكان الاسكندر يقول يا عباد الله انما الحكم الله الذى فى السماء الذى نصر نوحا بعد حين الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغنى ان الله تعالى أحب شيأ الا أحببته واستعملته الى يوم أجلى ولا أبغض شيأ الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلى وقد أنبئت أن الله تعالى يحب العدل فى عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفى وسوطى ومن ظهر منه العدل من عمالى فليتكئ فى مجلسى كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازى كلا بعمله * ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان * وقيل مات بعض الاكاسرة فوجدوا له سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كأكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى خراجه بالعدل * وقيل تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا واذا فعل ذلك

لم

لم يصدفها منها أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم * وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغني أبيات عن سلم بن يزيد العدوى في العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذى معك قال عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب أن يسمع أبياتك في العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسربه * ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلوّن أهل الجور ألوانا
يا للرجال لداء لادواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لوانى رأيت يوم عدل ثم مت * وقيل لما ولى عمر بن عبد العزيز أخذ في رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها ان تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الامر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مدفى عمرى لأردنه الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخى انى أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون القيامة فلا امننه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به ادخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزروع والضروع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل أو عمل به ادخل الله البركة في أهل مملكته كذلك * وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالى وتفسد بفساده * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها انقص أرعت في غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن ان ملكا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه ان لا يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها * ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها مني فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله ان لا يأخذها منها ابدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح (وحكى) سيدى ابو بكر الطرطوشى رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ ممن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ في ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لى شيخ من اشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها في سنى الغلاء كل

وسبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر * وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون فى الاطعمة الرفيعة ويتغالون فى المناكح والسرارى ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغى للامام ان يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم ويقتدى بهم فى الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبى مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التى يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته فتسوق بها السحاب يحملها القطر فيحيا بالثمرات وروح العباد ولو تتبعت ما جاء فى العدل والانصاف وفضل الامام العادل لالفت فى ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن قصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك)

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لاخيه قبله مظلمة فى عرض أو مال فأتاه فتحلله منها قبل أن يأتى يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولأحد من عبادى عند أحد منهم مظلمة فانى ألعنه ما دام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء

الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لأنصرنك ولو بعد حين * وعنه أيضا أنه قال الا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فأما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذى لا يطلب فظلم العبد نفسه * ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يا رب ان حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين واذا مناد ينادى حلمى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين * وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره * وسمع مسلم بن يسار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك * ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم * وروى لوح فى أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكان منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا

دعت عليك أكف طالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

كان معاوية يقول انى لاستحى ان اظلم من لا يجد على ناصرا الا الله * وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبى داود وقلت قد تظافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله * وقال يوسف بن أسباط من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله فى أرضه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لابيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين * وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو ان الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين سفاك للدماء فان له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ما هبت شيأ قط هيبتى من رجل ظلمته وانا اعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله الله بينى وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله * وبكى على بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة * روى أن النبى صلى الله عليه

وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضا مع ارضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولي الملك قال للمعلم ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمن الدهر الخؤون ولطمته * فما الليل حران ظلمت بنائم

وروى ان بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضي الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها اذا ما شاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام وقال الهيثم بن فراس السامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيي والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيي بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بغى وللبغي سهام تنتظر * أنفذ في الاحشاء من وخز الابر
* سهام أيدي القانتين في السحر *

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين اراد أن يوليه القضاء ما كنت لألي هذا بعد ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للمظالم يوما فلما

انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم أدنني اليك فاني مظلوم وقد أعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست اصل اليك فاذكر حاجتي قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية اخذتها وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وانا أؤدي خراجها وهذا لم يسمع مثله في المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود واشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شئ آخر فما معنى قولك بينة وشهود واشياء وأي شئ هذه الاشياء الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق واني لأرى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من اصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يافلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمدت معهم الانصاف ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وانا ارجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب ومما نقل في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسري الألم الى بقية الكف فقطع اصبعه فانتقل الألم والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الألم الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الالم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذي ظلمته فأرضه فانتبه من النوم وفكر في امره فعلم أن الذي اصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه

ودفع اليه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن فى الحال ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحى على موسى عليه السلام يا موسى وعزتى وجلالى لولا أن ذلك الرجل ارضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (ومما تضمنته أخبار الاخيار) مارواه أنس رضى الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضى الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسى ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعنى بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا اباه فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصرى أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرى فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة قال انس رضى الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذى ضربنى قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول انى لم أشعر بهذا وقيل لما ظلم أحمد بن طولون قبل ان يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم ورددت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته (وحكى) ان الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا ايام ومن نعيمك ايام والموعد يوم القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة وكتب فى آخرها

ستعلم يا نؤوم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
اما والله ان الظلم لؤم * ومازال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن اناس * اداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

(وحكى) ابو محمد الحسين بن محمد الصالحى قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد ان اكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم اعينونى والحقوا بالشط فاول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتونى به ووكلوا

بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة منحدرة وهي فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فيها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى داري لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال وأين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد علي به الساعة فحضروا به فامر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادي ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني أهلها واعطوا اصفتها وصفة ما كان عليها وسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاي من أعلمك أو حي اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم فينبغي على كل ولي أمر أن يعدل في الاحكام وان يتبصر في رعيته وعلى كل عاقل ان يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم ان الله يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الحادي والعشرون في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال وسيرة السلطان في استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان)

(الفصل الاول في سيرة السلطان في استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعزوا بمثل العدل وما استنزروا بمثل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف باهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذي يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء في السلطان وروي أن المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة

وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا أجيب خطبة ابنك حتى تجعلي لى فى صداق ابنتى مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية وقال أبو الحسن ابن على الاسدى أخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون فى زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من أموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذر وسائر نفقات تطبيق الأرض ثمانمائة ألف دينار ولما ينصرف للأرامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلو أمثالهم من بر فرعون اربعمائة ألف دينار ولما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا ألف دينار فاذا فرقت الاموال على أربابها دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعواله بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وانهوا اليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم ويمد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذى كان له ولما ينصرف فى نفقات فرعون الراتبة فى كل سنة مائتا ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعل فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار وقال أبو رهم كانت ارض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء يجرى تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتى النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ فى حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه ان يجرى لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أرادوا الى حيث قصد فليس بمصرا خليج أكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم ردعلى أهل القرى أموالهم فرد عليهم ما أخذه منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو

لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله
محمد رسول الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
تعالى اجعلني على خزائن الارض قال هي خزائن مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه
السلام وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب
محارمه وكانت مصر أربعين فرسخا في مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب
وناب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فأسلم وكانت السنون التي حصل فيها الغلاء والجوع
مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها
لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل
لها لا تفعلي لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسيء اليك ويكافئك
على ما سبق منك اليه فقالت انا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه
وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت
سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من
أنت فقالت أنا التي كنت أخدمك بنفسي وأرجل شعرك بيدي وأكرم مثواك بجهدي
وكان مني ما كان وقد ذقت وبال أمري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت أسأل
الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وبعد ما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت
مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها
هل بقي في قلبك من حبك اياي شيء قالت نعم والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب
الي من ملء الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك
وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزئ بي هو لم يردني في
أيام شبابي وجمالي فكيف يقبلني وأنا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت
وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلي ودعا الله تعالى باسمه
العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها
فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى
فرق الموت بينهما فينبغي للقوي أن لا ينسى الضعيف وللغني أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب
يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما فنسأل الله
تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض كان يجوع
ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع
فأنسى الجائع * ومن حسن سيرة العمال ما روي أن عمر رضي الله عنه استعمل على حمص
رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضي الله عنه أن اقدم علينا فلم
يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما
نظر اليه عمر قال له يا عمير أجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أما نهاك الله أن
تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له وما معك من
الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته ومزود أحمل فيه طعامي واداوة أحمل

فيهاماء اشربي ولطهوري وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامي فوالله ياأمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معي قال فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير فقال اخذت الابل من اهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شئ لأتيتك به فقال عمر عد الى عملك يا عمير قال أنشدك الله يا امير المؤمنين ان تردني الى اهلي فأذن له فأتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لي عميرا وانزل عليه ثلاثة ايام حتى ترى حاله هل هو في سعة أم ضيق فان كان في ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة ايام قال يا حبيب ان رأيت ان تتحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا اوسع عيشا منا فانا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها امير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى ان انفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال يا امير المؤمنين اما الثوبان فاقبلهما واما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند اهلي صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم وروى أن عمر رضي الله عنه صر اربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر واخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من أمره فمضى اليه وقال له كما قال لابي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل ابو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضي الله تعالى عنهم اجمعين

(الفصل الثاني في أحكام اهل الذمة) روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها في خطط المسلمين في ليل ولا في نهار وان نوسع ابوابها للمار وابن السبيل وان نزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول في دين الاسلام ان ارادوه وان نوقر المسلمين ونقوم

لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شئ من ملابسهم من قلنسوة
ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع
الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر
صلباننا ولا كتبنا فى شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الا
ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا
أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على
منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى
شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة
والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه ان امض ما سألوه وألحق فيه حرفين واشترطهما
عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد
خلع عهده وروى أن بنى ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير
المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا
فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن يركبوا
على الاكف من شق واحد وروى أن أمير المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل أقصى اليهود
والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل
الحق وأبعد عنه أهل الباطل فأحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم
عليه مادامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى
فانهم أهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه
أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو
فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه
وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفا فقال يا أمير المؤمنين لى
كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم
الله وكتب بعض العمال الى عمر رضى الله عنه ان العدو قد كثروا ان الجزية قد كثرت
أفنستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله
ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال
انى أريد أن أتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين
بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لاتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله
قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فأجابه
بمثل الاول فقال نعم فخرج به وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى أن لا
يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف
استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله أن لا تولوا

على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون في غيرهم قال أصحاب الشافعي و يلزمهم أن يتميزوا في اللباس عن المسلمين وان يلبسوا قلانس يميزونها من قلانس المسلمين بالحمرة و يشدوا الزنانير على أوساطهم و يكون في رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات واما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى و يكون في عنقها خاتم تدخل به الحمام و يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالأكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤن بالسلام و يلجؤن الى أضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها و يمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في أرض الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضي الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثني عشر بدينار وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل واحد قولي الشافعي ويجوز للامام أن يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر علية خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم)

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه انفعهم لعياله رواه البزار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم ورويناه في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن

عبيد بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه ان لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في حاجة فقضيت له أولم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم في الحلية وروينا في مكارم الاخلاق لابي بكر الخرائطي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبي الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبراني وروينا من طريق الطبراني باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله اي الناس احب اليك قال انفع الناس للناس قيل يا رسول الله فاي الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة رواه الطبراني وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا

بعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول له اما تعرفنى فيقول له من انت فيقول أنا السرور الذى أدخلتنى على فلان أنا اليوم أؤانس وحشتك والقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت واشهده شاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك واريك منزلك فى الجنة رواه ابن أبى الدنيا وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه اذا اراد احدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وانا انزلناه فى ليلة القدر وام الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤل أنمت عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فعجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية ابسط من لسانى بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير أهلها وعنه ايضا قال لا تكثر على اخيك الحوائج فان العجل اذا افرط فى مص ثدى امه نطحته وقال ذو الرياستين لثمامة بن اشرس ما ادرى ما اصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى ان لا يلقاك منهم احد فقال له صدقت وجلس لهم فى قضاء حوائجهم وحدث ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخى قال عرضت على ابى الحسن على بن محمد بن الفرات رقعة فى حاجة لى فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشئ فأخذتها وقت وانا اقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

واذا خطبت الى كريم حاجة * وابى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا ابا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما اردت وسأل اسحق بن ربعى اسحق بن ابراهيم المصعبى ان يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتى واشدد عراها * فقد أضحت بمنزلة الضياع

اذا شاركتها بلبان اخرى * اضربها مشاركة الرضاع

وقال ابو دقاقة البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال

اطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال

وقال سلم الخاسر

* اذا اذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ولله در القائل حيث قال

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدى العباد

فاسال

فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الي فارسل الي رسولا أو اكتب لي كتابا فاني لاستحيي من الله ان يراك ببابي وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد اودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا انزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث والعشرون في محاسن الاخلاق ومساويها)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما اثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضي الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد في السمع ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فاكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارقه في سفره قارورة الدهن والمكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضي الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وكان له عبيد وإماء لا يرتفع على أحد منهم في مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو امي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق نبيا ما قال لي في شئ قط كرهه لم فعلته ولا في شئ لم أفعله لم لا فعلته ولا لامني احد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التي

هى أعلى مرتبة من العبودية فالنبى صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا لحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى من دعاه لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذى يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة واتقاهم لله عز وجل بدنا واجدهم فى أمر الله لا تأخذه فى الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيأ الا أن يجاهد فى سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا ان يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهى قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفى رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيئ الخلق أجنبى عند اهله وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق احب الى من ان يصحبنى عابد سيئ الخلق لان الفاجر اذا احسن خلقه خف على الناس واحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه بيت مفرد

اذا رام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل أبى الله لسيئ الخلق التوبة لانه لا يخرج من ذنب الا دخل فى ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل ما بال فلان ولكن يقول ما بال اقوام يقولون حتى لا يفضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ما شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد فى رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد له فى عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان فى الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لانه يدعو الى ان يقابل بمثله وكتب الحسن بن على الى أخيه الحسين رضى الله عنهم فى اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين انت اعلم منى بأن خير المال ما وقى به العرض فانظر الى شرف ادبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت اعلم منى وكان بينه وبين اخيه كلام فقيل له ادخل على اخيك فهو اكبر منك فقال انى سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما اثنين جرى بينهما كلام فطلب احدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وانا اكره أن اسبق اخى الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنهما وانشد فى المعنى

وانى لالقى المرء أعلم انه * عدوّ وفى احشائه الضغن كامن
فامنحه بشرا فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه وأحضر بين يدى جعفر فلما رأى ماظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك واقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجارية على رأسه تبتسم فقال له المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لا تعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع اطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره واطرق برأسه الى الأرض واطال الجلوس حتى اخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان اطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (وذكر) أن انوشروان وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه اهل مملكته فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب واحضرت الفواكه والمشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وانوشروان يراه فلما افتقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بالقصة فقال قد اخذه من لا برده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش احدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان فى مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم اصلحك الله وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم ياغلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح ياغلام فدخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغى للغلام ان يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح ياغلام ياغلام الى كم ياغلام فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت أنه يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر الى فقال ياعبد الله ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وانا لا نستطيع أن نسىء اخلاقنا لنحسن اخلاق خدمنا * وقال ابن عباس

رضي الله عنهما اودعلينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة واليا وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ماترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين ارق من الماء ويكلمنا بكلام احلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر في وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ماردها الا ذقن الوليد وانكب جميع مافيها في حجره فبقي الغلام ممثلا واقفا مامعه من روحه الا مايقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه واقبل علينا تبرق اسارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يابائس ماأرانا الا روعناك اذهب فأنت واولادك احرار لوجه الله تعالى ومرض أحمد بن ابي داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان اتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له احمد ياأمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك ياأمير المؤمنين فانك كما قال النميري لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * احلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمر الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم والقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا رأى احدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرا آة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له وروى ان أباعثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع في وقت الهاجرة فألقى من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقي للرماد فقال ابو عثمان لا تقولوا شيأ فان من استحق ان يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجزله ان يغضب وقيل لابراهيم بن ادهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما اني كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال علي والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعني وروى ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) ان اباعثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يااستاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبوعثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يااستاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال في الاولى ثم فعل به ذلك اربع مرات وأبوعثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا أستاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على اخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال ابو عثمان لا تمدحني على خلق تجده في الكلاب فان الكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر * وقال الحرث بن

قصى يعجبني من القراء كل فصيح مضحاك فأما الذي تلقاه بشر وبلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله في المسلمين مثله ومن محاسن الاخلاق ما حكى عن القاضي يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومي فرأيته وقد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشي على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي انا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهني حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فأزعجك فقلت يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف دينار فأخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فمه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فأنبهه قال يحيى وكنت معه يوما في بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا في البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني أن أتحول أنا في الظل ويكون هو في الشمس فأمتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن في مكاني ولأكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت أنا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف فانظر الى أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا في أرزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والعشرون في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك)

اعلم أن المودة والاخوة والزيارة سبب التألف والتألف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لاوليائه من الكرامة

اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الالم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا في ذلك

* وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء ومن كلام علي رضي الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غادو رائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطيء والنظر الى الحسن من كل شئ قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتي الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضي الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط واكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلي ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقي من اللذات ما تتوق اليه نفسي الا محادثة اخ كريم وانشدوا في معنى ذلك

ومابقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلا * فقد صاروا اقل من القليل

وقال لبيد

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال آخر

اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن انت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك اي الاخوان احق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله اكثر من مودة قوله وانشدوا في المعنى

ان اخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وقال غيره

وليس أخي من ودني بلسانه * ولكن أخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان أعوزته النوائب

وقال أبو تمام

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك احب اليك قال الذي يسد خلتي ويغفر زلتي ويقبل عثرتي وقيل من لا يؤاخي الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

وقال آخر

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمه واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السيء وقال صلى الله عليه وسلم الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحي المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفي ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال آخر

تنمم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحاب اثنان في الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه مازار أخا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل في الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الرفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء ود من يهودي وحفظ من نصراني ورياضة من دهري وكرم من أعجمي والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أحرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا أصعب من الاخوان من اولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسي جمائله وبقي شاكرا لك اشرا اذا كرا لجميلك بوليك عليها الاحسان الكثير

الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلي للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

وقال آخر

وكنت اذا الصديق أراد غيظي * وشرقني على ظما بريقي
غفرت ذنوبه وكظمت غيظي * مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال آخر

وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أوغدا * لضر عدو أولنفع صديق *

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الذهلي اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس فدفعها للذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لجليسي على ثلاث ان أرمقه بطرفي اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغي له اذا حدث ويقال لكل شئ محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكبريت ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل اول ما يتعين على الجليس الانصاف في المجالسة بان يلحظ عين الادب مكانه من مكان جلسه فيكون كل منهما في محله وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله عنه اذا دخلت منزل اخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس في الصدر وينبغي للانسان ان لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه ان يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع انه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان من سمعه اولا ان لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى ان يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس في مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على

رب البيت فى بيته والآتى الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا اذا كان جليسه ذاهيبة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال ابو العباس السفاح ما رأيت أغزر من فكر أبى بكر الهذلى لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فأرمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلى فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لارفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبنى أحد قط غلبة رجل يصغى الى حديثى وفى نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك اذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده أو مد رجله او تمطى أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته وكان اردشير اذا تمطى قام سماره * ومن حق الملك ان لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لى قد سمعته منك وعن الشعبى قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبى رباح ان الرجل ليحدثنى بالحديث فأنصت له كأنى لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه ثم اخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر فى عطفك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام محالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما واذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك وأهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى ولا يحملنك لطفه بك على ان تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة

ولا تحتشم بحضرتهم ولا تخلل اسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم واياك ان تمازح لبيبا او سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلى فى مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك

(وأما آداب المسايرة) فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته فى المشى مشى فيعزمان عليه أن لا يمشى فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر منى على مشى وما أنا بأغنى منكم عن اجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاث اذا ساروا ليلا أو خاضوا سيلا او واجهوا خيلا وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته

(وأما ما جاء فى الاخوان القليلى الموافاة العديمى المكافأة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة)

فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أقالنى عثرة ولا ستر لى عورة وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود قال الشاعر

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان ما دامت لهم نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

ولما نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه احدا من اصحابه الذين كانوا يألفونه فى ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال آخر

فما

فما أكثر الاصحاب حين نعدّهم * ولكنهم في النائبات قليل

وقال البحترى

اياك تغتر أو تخدعك بارقة * من ذي خداع يرى بشرا والطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت في الارض أوساطا واطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا ابدا * ولا أخا يبذل الانصاف ان صافى

وقال بعضهم في المعنى أيضا

خليلي جربت الزمان وأهله * فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفي بالعهود ولا أنا

وقال آخر

لما رأيت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد أصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

بيت مفرد

وكل خليل ليس في الله ودّه * فاني به في ودّه غير واثق

وقال آخر

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم يخنك أخ امين * ولكن قلما تلقى أمينا

وقال آخر

تحب عدوي ثم تزعم أنني * أودك ان الرأي عنك لعازب
وليس اخي من ودني بلسانه * ولكن اخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وامر بقطع يده لما بلغه انه زوّر عنه كتابا الى اعدائه وعزله لم يأت اليه احد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له في بقية يومه انه بري مما نسب اليه فخلع عليه ورد اليه وظائفه فأنشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا ايها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لي الزمان

ومثله في المعنى

اخوك اخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعي استجابا
اذا حاربت حارب من تعادي * وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدي

وأخ رخصت عليه حتى ملني * والشيء مملول اذا ما يرخص
ما في زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان أن لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا

والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة في الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء في لهب الحريق

فينبغي للانسان أن يجتنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلقته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فاثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو في الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا في خلائقه غليظا في طباعه قويا في بدنه لا تؤمن ضغائنه فألحقه بعالم النمورة والعرب تقول أجهل من نمر واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه ويؤذي من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح ألست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فألحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان ادنيته بعد وان أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فألحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب واذا رأيت من يمشي بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان وهي دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فألحقه بعالم الخنافس فانه يحبها اكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر في عطفه فألحقه بعالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فيجتنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الاشرار واهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايد الخلائق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم

(وأما الزيارة والاستدعاء اليها) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدى اذاهو أمسكا
ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت
اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعد
وقال آخر
وان مروري بالديار التي بها * سليمى ولم ألمم بها لجفاء
وقال آخر
قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لي وأقول
وقال آخر
أزور بيوتا لاصقات ببيتها * وقلبي في البيت الذي لا أزوره
وزار محمد بن يزيد المهلبي المستعين ووهب له مائتي ألف درهم وأقطعه أرضا فقال
وخصصتني بزيارة أضحى لنا * مجد بها طول الزمان مؤثل
وقضيت ديني وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل
وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة
نحن في أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودى * أنكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا
وقيل لفيلسوف أي الرسل أنجح قال الذي له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا في حاجة
فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يا بني لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد
حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم
اذا أبطا الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان)

(الفصل الاول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن أبي بكر

الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو محمد بن عدي في كتاب الكامل ورويناه من طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبراني اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال أمتي لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

(الفصل الثاني في الشفاعة واصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما اوقمعت به ظالما اواغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة ان تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضي الله تعالى على لسان نبيه ماشاء وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبراني في المكارم وقال علي رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع ان يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فأبوا الا ان يأخذها فقال اقذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما اعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام أحصن ولا احسن من

مدينتك

مدينتك ولكن سمعتها في عيني خصلة قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحق عليك الا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير الا كرما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت وقال المبرد أتاني رجل لاشفع له في حاجة فأنشدني لنفسه

اني قصدتك لا أدلي بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك
فبت حيران مكروبا يؤرقني * ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك
مازلت أنكب حتى زلزلت قدمي * فاحتل لتثبيتها ان زلزلت قدمك
فلو هممت بغير العرف ما علقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعي اليك الله لا شيء غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين الفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ما قطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع
الى باب مولانا رفعت ظلامتي * عسى الهم عني والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبي فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبي
ولا تجزع اذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفي

وروى ان جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقي الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عناتنا (؟) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والعشرون في الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان)

(الفصل الاول في الحياء) قالت عائشة رضي الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ماشئت وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن آبائه يرفعونه من لم يستحي فهو كافر وقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه اني لادخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه صلبي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا ان الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

(الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا في ما قالت النصارى في المسيح فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فاخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث بشيء مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يرحمكم الله وقال عدي بن ارطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع في الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له في ذلك فقال ان أبي كان جبارا فأحببت ان أتواضع لربي لعله أن يخفف عن أبي تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يارب قال لاني رأيتك تتمرغ بين يدي في التراب تواضعا لي وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شيء لجبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك)

اعلم ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر أحد الا من زلة يجدها فى نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت أنى مثلك فى ظنك وأن أعدائى مثلك فى الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال فى مشيه فقال جعلنى الله مثلك فى نفسك ولا جعلنى مثلك فى نفسى وقال الاحنف عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومر بعض أولاد المهلب بمالك ابن دينار وهو يتبختر فى مشيه فقال له مالك يابنى لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك فقال أوما تعرفنى قال أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لايدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به فى يعنى أتكبر عليه واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية فى الكبر يقال انه كان لاينادم أحدا تكبرا ويقول انما ينادمنى الفرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى أنه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الاكاسرة فكانوا لايعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن ارطاة مالك لاتحضر الجماعة قال أخشى ان يزاحمنى البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا وقال لمعاوية أعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطنى نعليك قال مابخل يمنعنى ياابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فقعد معه على السرير وحدثه وقال المسرور ابن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لاحمق يلوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم مافى التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت)

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبي معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر في الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى ألا هل بلغت وقال الاصمعي بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا * فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سعه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى * فأين رجائي ثم اين مخافتي

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعي سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعي ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم الاهم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لاني أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها ويقول عند انشادها

أي علي بن جني وأي لسان بن فكي وقال الجاحظ لولم يصف الطبيب مصالح دوائه للعالجين ماوجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع في رسالته التي سماها اليتيمة تنزيهاً لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر في هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم في الافتخار ومن تفاخرهم بعون الله وفضله وتيسيره قال أبو بكر الهذلي سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوي الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرني باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه مارأى منه فقال أنشدني شعرا فأنشده شعرا لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

إن الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقروا له بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيته منه ومن شعر أبي الطمحان

وإني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضي الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثاً الاجعل له عدواً من المجرمين فانا ابن علي وأنت ابن صخر وأمك هند وأمي فاطمة وجدتك قتلة وجدتي خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخلمنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروي أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن علي فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ماعندنا وتعرض لنا ليخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ماعندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية اني قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جد من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفي ذلك يقول علي بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

وله أيضا

أبى وقومى من أنساب قومهم * كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلى بن أبى طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعى مفتاحه فقال على ما أدرى ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ماذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عاشرهم فى النار والذى انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم فى الجنة قال سلمان الفارسى

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموؤدات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون أنا هام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أودارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر

ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم انى أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأمر لخالد وحباهما جميعا وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

وقال السموأل بن عاديا

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لا ينال طويل
وانا اناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن ما في نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول
وما اخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معوّدة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول
فان بني الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حي يقاربنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس القزع
وننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سننا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لو كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم فى مطمع طمع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا عطفوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بنى تميم

أبغى آل شداد علينا * وما يرعى لشداد فصيل
فان تعمد منا صلنا تجدها * غلاظا فى أنامل من يصول

وقال سالم بن أبى واصة

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتى دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به * أحمى الذمار وترمينى به الحدق
فما زلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

(وأما التفاضل والتفاوت)

فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه اما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال احمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه * وقيل أن عائشة بنت عثمان كفلت ابا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع وربتهما قال أشعب فكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغنا الى ما ترى يعني انا وهو هاتين الغايتين وقال ابو العوادل زكريا بن هرون

على وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطبائع والعمل
الم تر عبد الله يلحى على الندى * عليا ويلحاه على على البخل

وحج أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة فغازلها فأخبرت أبا الأسود فأتاه فقال

واني ليثنيني عن الجهل والخنى * وعن شتم أقوام خلائق أربع
حياء واسلام وتقوى وانني * كريم ومثلي من يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتصلع

وقال ربيعة البرقي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا تحسب القيسي اني هجوته * ولكنني فضلت اهل المكارم

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول انا الكبير فعظموني * الا ثكلتك امك من كبير
اذا كان الصغير اعم نفعا * واجلد عند نائبة الامور
ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلو الهمة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف اذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم احدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ما شتمت رجلا مذ كنت رجلا لاني لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فأنا أحق أن أجله واما لئيم فأنا أولى ان أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس

فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم ان لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم امير المؤمنين لاخبرته ان رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما انت باشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وما ذاك قال تركي من امرك مالا يعنيني كما عناك من امري مالا يعنيك وقيل السيد من يكون للاولياء كالغيث الغادي وعلى الاعداء كالليث العادي وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسي وسودده انه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزني الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمت لامتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(واما علو الهمة فهو أصل الرياسة)

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني واقعد فى أدنى منه لاجل ضيعة وتحدث السفاح هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتي هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا انه غير نزيه النفس فوجه اليه فحضر فحادثه ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هي من الطرف وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هي لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لى فاعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه وأهدى عبيد الله بن السري الى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار ووجه اليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وكان سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة فقيل له فى مرضه ان المريض يستريح الى الانين والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الانين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله مني أبدا فاكون عنده جزوعا وأما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله فى نفسي ان شاء أمسكها وان شاء قبضها ومن كبر النفس ما روي عن قيس بن زهير انه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعوا اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال

يا هذا انك اخترتني جارا واخترت دارى دارا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبي على أهله وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فاجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جعفران يسميها او ينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب * فلا والذى عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبي حفصة

هم يمنعون الجار حتى كانما * لجارهم بين السماكين منزل

وقال ابن نباتة

ولو يكون سواد الشعر في ذمم * ما كان للشيب سلطان على اللمم

وقيل ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وارغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصدا الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة فى ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه واغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجار بى فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين ان لا يخزيني فى ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لابد ان ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد ابن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب ابن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبي أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل * وحكى ان رجلا من الشيعة كان سعى فى فساد الدولة فجعل المهدى لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فقربه

معن بن زائدة وقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل ما لك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدي بالقصة فأرسل خلف معن فأحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها طاعتي أفما ترونني أهلا ان تجيروا الي رجلا واحدا استجار بي فاستحيا المهدي وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجار بي فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين ان يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء * وكان جعفر بن أبي طالب يقول لابيه يا أبت اني لاستحي ان أطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فكان أبوه يقول اني لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحي فقالوا نريد جارك فقال اما اذ جعلتموه جاري فوالله لا تصلون اليه وأجاره حتى طار فسمي مجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضي الله عنهم أجمعين)

اعلم ان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر واني والله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يميتني على محبة نبيي محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وان يحشرنا في زمرتهم وتحت ألويتهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

اني أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة ساداتي ومعتقدي * فهل علي بهذا القول من عار

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في أحد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر وقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضي الله عنه قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذي بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضي الله عنه

الشام

الشام وقف على طور سيناء فأرسل البطريق عظيم سالهم وقال انظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته فى قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا نرى بمحاربة هذا طاقة اعطوه ماشاء * وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها اخبرينى من كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده فردها الى فيه قالت فما حالك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضى على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكنانى صف لى عليا فاستعفى فألح عليه فقال اما اذن فلا بد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد الله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ الخائف ويبكى بكاء الحزين فكأنى الآن أسمعه يقول يا دنيا الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزنى عليه والله حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا فى سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك انه صاح على أهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا زبير قال سمعت انك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن أستعرض أهل مكة وروى أخبط بسيفى من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وأعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حوارى ودعا له قال الاوزاعى كان للزبير الف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وباع دارا له بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم أغبن اشهدكم انها فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من حالك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال اقرئه السلام واعلمه انى لا أراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويأمرك أن تحبه من هذا الذى

بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار ومر أبو ذر على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذي بعثك بالحق نبيا لهو في ملكوت السموات السبع أشهر منه في الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده في هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ألف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر السفاح لابي بكر المدني بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتي عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما قط في تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وأفصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال أنس في ثابت البناني ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسي من أخيار الناس وهو الذي اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألفا كان يخرج البدرة فيقول يارب اشتريت نفسي منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختياني من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدي وقال سفيان الثوري جهدت جهدي على ان أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر وكان الخليل بن أحمد النحوي من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه ويبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيأ وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملكين كتبا عليه شيأ وروى انه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط في عبادان أربعين ليلة وختم بها القرآن أربعين ختمة وتصدق بأربعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث وما رؤى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبي رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتي الناس في الحلال والحرام فتمثل بقول * تلك المكارم لا قعبان من لبن * ومن مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدي أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربي أستاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشان لم يأكل مما وصلت اليه أيدي بني آدم سنين كثيرة وكان أكله من أصول العشب شيأ تعود أكله * ومنهم سيدي فتح بن شخرف بن داود ويكنى أبا نصر من الزاهدين الورعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال أحمد بن عبد الجبار سمعت أبي يقول صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال طال شوقي اليك فعجل قدومي

عليك وقال محمد بن جعفر سمعت انسانا يقول غسلنا فتح بن شخرف فرأينا مكتوبا على فخذه
لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا
وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا
* ومنهم سيدي فتح بن سعيد الموصلي يكنى أبا نصر من أقران بشر الحافي وسري السقطي
كبير الشان في باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلي رجع فتح الموصلي الى
أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشوني فقالوا ما عندنا شئ نعشيك به فقال
ما بالكم جلوس في الظلمة فقالوا ما عندنا شئ نسرج به فجعل يبكي من الفرح ويقول الهي
مثلي يترك بلا عشاء ولا سراج بأي يد كانت مني فما زال يبكي الى الصباح وقال فتح رأيت
بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشي وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام
فقلت الى أين فقال الى بيت ربي عز وجل فقلت بماذا تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربي
فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا مني فقلت
خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما على نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد
والراحلة قال زادي يقيني وراحلتي رجلاي فقلت أسالك عن الخبز والماء قال يا عماه
أرأيت لو دعاك مخلوق الى منزله أكان يجمل بك أن تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان
سيدي دعا عباده الى بيته وأذن لهم في زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم واني
استقبحت ذلك فحفظت الادب معه أفتراه يضيعني فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصري فلم
أره الا بمكة فلما رآني قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين * ومنهم سيدي أبو
عثمان سعيد بن اسمعيل الحيري صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي وكان يقال في
الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان الحيري بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الحلاج
بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز
والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى شئ
فسخطته * ومنهم سيدي سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين
والعباد الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع
حذيفة المرعشي وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان
ساكت فقال بعضهم الغني من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن
فضول الدنيا وقال بعضهم الغني من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت في ذلك
فبكى وقال رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الفقر في القنوط والغنى حق
الغنى من أسكن الله في قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغنى
حق الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه * ومنهم سيدي أبو سليمان
ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من
أجل السادات وأرباب الجد في المجاهدات ومن كلامه من أحسن في نهاره كفي في ليله
ومن أحسن في ليله كفي في نهاره ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله
تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شئ علامة وعلامة الخذلان

ترك البكاء وقال لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن ابى الحوارى شكوت الى أبى سليمان الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع عنك فاى وقت أحسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه لاشئ أبغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى اجتمعوا البلاء على أبى سليمان الدارانى فسمعوه يقول يارب ان طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك وان طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان جعلتنى من أهل النار أخبرت أهل النار بحبى اياك وقال على بن الحسين الحداد سألت أبا سليمان بأى شئ نعرف الابرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال نمت ليلة عن وردى فاذا حوراء تقول لى أتنام وانا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام * ومنهم سيدى أبو محمد عبد الله بن خنيف من زهاد المتصوفة كوفى الاصل ولكنه سكن انطاكية ومن كلامه لا تغتم الا من شئ يضرك غدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة * ومنهم سيدى أبو عبد الله محمد ابن يوسف البناء أصبهانى الاصل كتب عن ستمائة شيخ ثم غلب عليه الانفراد والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان فى ابتداء أمره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما ان تهب لى معرفتك أو تأمر الجبل ان ينطبق على فانى لا أريد الحياة بلا معرفتك * ومنهم سيدى يحيى بن معاذ الرازى قدس الله سره يكنى أبا زكرياء احد رجال الطريق كان اوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديقا يحتاج الى ان يقال له اذكرنى فى دعائك وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل فى أمرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه فى قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى انه قدم شيراز فجعل يتكلم على الناس فى علم الاسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريدان تأخذ من هذه البلدة قال ثلاثون ألفا اصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على ان تأخذها وتخرج من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت انه كان يظهر اسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك * ومنهم سيدى يوسف بن الحسين الرازى يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما اديبا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى من كلامه اذا أردت ان تعلم العاقل من الاحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم انه أحمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجىء منه شئ وقال لان ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب الى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته

يقول أى شئ تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت فى نفسى جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا فى المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيأ قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الى وقال يا بنى أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت * ومنهم سيدى حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صحب شقيقا البلخى ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك فى التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره وعلمت أنى لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحى منه وسبب تسميته بالاصم ما حكاه أبو على الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسئلة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعى صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه * ومنهم الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصرى وأبا على الروذبارى وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا فى هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا *
تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك أودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس وقال محبة العشاق داء ودواؤها فراقهم وقال اذا سكن الخوف فى القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه * ومنهم سيدى جعفر بن نصر الخلدى يكنى بأبى محمد بغدادى المنشا والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روى أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكى بكاء بحرقة فقال لها ما لك تبكين فقالت ثكلى بولدى فأنشأ يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروى أنه كان له فص فوقع منه يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا

به عادت فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول
ياجامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتى وقدروى أنه يقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا
وروى الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه قال ودعت فى بعض حجاتى المزين الكبير الصوفى
فقلت زودنى شيأ فقال ان فقدت شيأ أو أردت أن يجمع الله بينى وبينك أو بينك وبين
انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين
ذلك الشئ أو الانسان * ومنهم سيدى معروف بن فيروز الكرخى قدس الله سره يكنى أبا
محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السرى وكان أبواه نصرانيين فاسلماه الى
مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد
فضربه المؤدب على ذلك ضربا موجعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على
أى دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف
فقيل على أى دين فقال على دين الاسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن
كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة
والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يا مسكين كم تبكى وتندب أخلص تخلص وقال سرى
سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شئ قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب
الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان فى زورق
يضربون بالملاهى ويشربون فقال له أصحابه أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء
فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك أن تفرحهم
فى الآخرة فقال له أصحابه انما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم
فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه
تحت العرش والله تعالى يقول للملائكة من هذا فقالوا أنت أعلم يا رب قال هذا معروف
الكرخى سكر بحبى لا يفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا
بقميصى هذا فانى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال أبو بكر الخياط
رأيت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم
الريحان واذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجىء فقلت يا أبا محفوظ ما فعل الله بك
وليس قد مت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقى حياة لا نفاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

* ومنهم قاسم بن عثمان الكرخى يكنى أبا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان
الدارانى وغيره وكان من أقران السرى والحرث المحاسبى وكان أبو تراب النخشبى يصحبه
ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفر له ما مضى وما بقى ومن أفسد فيما بقى من عمره
أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها فى اعتزال الناس والفرح كله فى الخلوة بالله عز
وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال وأداء

الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهممهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به في توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت في الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت الى الارض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقي باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقي استوهبني بعض خواص الملك فوهبني له فسمعتها تقول بأي شئ فاتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخي متحسر على ما فاتني قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق * ومنهم سيدي أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي كان جليل القدر مالكي المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن في عصره وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

وروى أنه قال كنت يوما جالسا فجرى في خاطري أني بخيل فقلت مهما فتح الله علي به اليوم ادفعه الى أول فقير يلقاني قال فبينما أنا متفكر اذ دخل علي شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال أليس بخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عادتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها في الدجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله تعالى * ومنهم سيدي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجبل لبنان أدور اذ أبصرت زرقان أخا ذي النون المصري جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الي وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذي النون المصري أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعي الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكني أقول

قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منانا * واليه في كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسي فقال رحم الله ذا النون المصري رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري وأظن انه أخوه مؤاخاة لا اخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه * ومنهم سيدي أبو عبد الله النباجي سعد بن بريد كان من أقران ذي النون المصري ومن أقران أستاذي أحمد بن أبي الحواري له كلام حسن في المعرفة وغيرها روى عنه أنه قال أصابني ضيق وشدة فبت وأنا مفكر في المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول لي في النوم أيجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس * ومنهم سيدي بشر بن الحرث الحافي قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سري السقطي وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقي رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول يا سيدي يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله وروى أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت اني امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل علي في ذلك شيء فقال يجب أن تبيني فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذي مات فيه قال له أهله نرفع ماءك الى الطبيب قال أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألحوا عليه فقال لاخته ادفعي اليهم الماء فدفعته اليهم في قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصراني فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك في الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافي لان ما في زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال انا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندي نوديت يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب توفي سنة سبع وعشرين ومائتين * ومنهم

سيدي

سيدي أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي من أجل المشايخ كبير الشان ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسي وهي تبكي الى ان سقتها الى وهي تضحك وسئل بأي شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد ما لقيت في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدي فاقول لبيك فقوله لي يا عبدي أحب الي من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء وقال له رجل دلني على عمل أتقرب به الى ربي فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر الى اسمك في قلب ولي فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفي في سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى * ومنهم شيخ الطائفة سيدي أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السري والحرث المحاسبي ودرس الفقه على أبي ثور وكان يفتي في مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة ومن كلامه رضي الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فادب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب وروئي في يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن ابن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس في منامي وكانه عريان فقلت له ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندي ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا الى الله عز وجل فأكاد ان أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومي ولبست ثيابي وجئت الى مسجد الشونيزي بليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزي أبو حمزة وأبو الحسن النوري وأبو بكر الدقاق رضي الله عنهم وقال محمد بن قاسم الفارسي بات الجنيد ليلة العيد في الموضع الذي كان يعتاده في البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول

بحرمة غربتي كم ذا الصدود * ألا تحنو علي الا تجود *
سرور العيد قد عم النواحي * وحزني في ازدياد لا يبيد
فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذري في الهوى ان لا أعود

توفي الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين * وممن صحبه واتبعت بصحبته وفاضت الخيرات على بركته سيدي الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالي وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريني المالكي

قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لأهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا ان يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الا فرج الله كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يمتع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من اعدائه وأحبابه يدخل اليه أعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لألقى المرء أعلم انه * عدوى وفى أحشائه الضغن كامن
فامنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت جلة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما جلونى الضيم الا جلته * لانى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن ان ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه فاطمة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه ما رجاه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك اماما كبيرا لم ير له فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لا تسع الكلام ولكنى أقول كان أوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الاول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

رضى الله عنه ورضى عنا به ونفعنا ببركته فى الدين والدنيا والآخرة فشرعوا فى تجهيزه وغسله وكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهنى معى فى تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لى والدا شفيقا وبارا حسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضى

الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على اعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على انه كان قطب اهل زمانه * قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلى نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التى أنشأها بسندفا مع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتى المسلمين سراج الدين ابى حفص عمر الطرينى المالكى فى قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا واياه فى زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين ونسأله التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطرينى أدام الله ايامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

(الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم)

اعلم ان كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من ان تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم فى زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل *(حكاية)* قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مرارا فلم نر للاجابة اثرا فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وابو محمد السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن ثابت بن ابى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى فلما أظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى الى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفد ما عندك أم نقص ما فى خزائنك أقسمت عليك بحبك لى الا ما سقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحى مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لى وما يدريك أنه يحبك قال تنح عنى يا من اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأنى بذلك الا لمحبته اياى ثم قال محبته لى على قدره ومحبتى له على قدرى فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال انى مملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبى فيهم فقال عودا الى فى غير هذا الوقت فلما اردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالاسود

قائم يصلي فقلت حبيبي ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له بعني هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا غلام ليست له همة في الليل الا البكاء وفي النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاءه وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الي وقال يا مولاي الصغير لماذا اشتريتني وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدي انما اشتريتك لأخدمك بنفسي قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذي عارضتك البارحة في الكلام بالمصلى قال فجعل يمشي حتى أتى الى مسجد فاستأذنني ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي سر كان بيني وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشي أقسمت عليك بك الا ما قبضتني اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم في أخينا ميمون ها كم الكفن فناولني ثوبين ما رأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فمقبره يستسقى الى الآن وتطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكى) عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر الي ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال علي بدواة وقرطاس فأحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا صائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقيني رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل نصراني قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتي الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصراني راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذي هداك للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (وحكى) أن

بعضهم كان ملاحا بحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدى من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ومن الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليك فرددت عليه السلام فقال أتحملني الى الجانب الغربي لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربي وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال اني أريد أن أحملك أمانة قلت وما هي قال اذا كان غد وقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا الهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وصل على وادفني تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الي ثم عدت الى الجانب الشرقي وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب قد أقبل علي فحققت النظر في وجهه فاذا هو من صبيان الملاهي كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم علي فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التي عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لا بد أن تخبرني فقال لا أدري الا أني البارحة كنت في عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغني الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لاستريح واذا برجل قد أيقظني وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولي وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها في الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركني أتحرق وأبكي لما حرمت من ذلك وأقمت يومي ذلك أبكي الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم فقال يا عبدي أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع الى انما ذلك فضلي أوتيه من أشاء من عبادي وأنا ذو الفضل العظيم (وحكى) أبو اسحق الصعلوكي قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا في البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت في عز ورفعة فطالبتني نفسي بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لي وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لي والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتني السباع والهوام وبكين معي وجاءوا الي هذه الرياحين التي تراه قال أبو اسحق فبينما أنا معه برق له قلبي واذا بحية عظيمة في فمها

باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولي الله تعالى فان الله يغار على أوليائه قال فغشي عليه وغشي على فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة حمشاط بعد ما جمعت فاستقبلتني امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتني نادت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذي مات غريبا فاني منتظرتك منذ كذا وكذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها أشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن امرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع شعر

يا نسيماهب من وادي قبا * خبرني كيف حال الغربا

كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كان عليه فأبى

(وحكي) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر في بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما افتفتت في يده ففكر في نفسه وقال ويحك يا دينار كأني بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهي وسيدي ألقيت اليك مقاليد أمري فاقبلني وارحمني ثم أقبل نحو امه متغيرا اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف واقراصا من شعير وغلين وافعلي بي كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بني ارفق بنفسك فقال دعيني أتعب قليلا لعلي أستريح طويلا يا أماه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بني خذ لنفسك راحة قال لست للراحة أطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فأخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ في بعض الليالي فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكي حتى أغشي عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا أماه ان لم تجديني في عرصات القيامة فاسألي مالكا خازن النار عني ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادي أيها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض اصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا اخبروا عني والدتي بذلك * وحكي عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فاخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا

الكفن مردود عليكم بئس القوم انتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من احبابنا الا نكله الى غيرنا (وحكى) أبو على المصرى قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثنى باعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءنى شاب فى بعض الايام مليح الوجه حسن الشباب فقال لى اتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفنى على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هى أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهى تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فدخلت الدار واذا انا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم اجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من اولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فاخذت فى غسله وانا ارتعد فلما ادرجته اتت الجارية وهى اخته فقبلته وقالت أما انى سألحق بك عن قريب فلما اردت الانصراف شكرت لى وقالت ارسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه انت فارتعدت من كلامها وعلمت انها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلى فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتى واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتى وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما شعر

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومى فعينى لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعى بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
برانى اسى ما خيل لى يظن بى * سرورا واحشاى السقام ملاها
وكم ضحكة فى القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله اياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبى آها

(وحكى) سرى السقطى رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما أصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهى تقول

تغل يدى الى عنقى * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد * أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جننت ولكن * انا سكرانة وقلبى صاحى
لم غللتم يدى ولم آت ذنبا * غير هتكى فى حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح
ما على من احب مولى الموالى * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت يا سري هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هي تكلمني اذ جاء سيدها فلما رآني عظمني فقلت والله هي احق مني بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود في حجرها وبيدها فجعلت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا

ملأت جوانحي والقلب وجدا * فكيف أقر يا سكني وأهدا

فيا من ليس لي مولى سواه * تراك رضيتني بالباب عبدا

فقلت لسيدها أطلقها وعلي ثمنها فصاح وافقراه من أين لك عشرون ألفا يا سري فقلت لا تعجل علي فقال تكون في المارستان حتى توفيني ثمنها فقلت نعم قال سري فانصرفت وعيني تدمع وقلبي يخشع وأنا والله ما عندي درهم من ثمنها فبت طول ليلتي أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل علي رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفني يا سري قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بي هاتف وقال لي يا أحمد هل لك في معاملتنا فقلت ومن أولى مني بذلك فقال احمل الى سري السقطي خمس بدر من أجل الجارية العلانية فان لنا بها اعتناء قال سري فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى ان * عيل من حبك صبري

ضاق من غلي وقيدي * وامتهاني منك صدري

ليس يخفى عنك أمري * يا منى قلبي وذخري

أنت قد تعتق رقي * وتفك اليوم أسري

قال سري فبينما أنا أسمعها واذا بمولاها قد جاء وهو يبكي فقلت لا بأس عليك قد جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيدك قال والله لو أعطيتني ما بين الخافقين ما فعلت وهي حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالامس فقال حبيبي لا توبخني فالذي وقع لي من التوبيخ كفاني وأشهدك اني قد خرجت من جميع مالي صدقة في سبيل الله تعالى واني هارب الى الله تعالى فبالله لا تردني عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكي فقلت ما يبكيك قال يا أستاذي ما قبلني مولاي لما ندبني اليه ورد علي ما بذلت أشهدك أني قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى في سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية احرار لوجه الله تعالى قال سري فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر وولت قال سري فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعنا صوتا فتبعناه فاذا هي امرأة كالخيال فلما رأتني قالت السلام عليك يا سري فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك

بعد المعرفة فتأملته فاذا هي الجارية فقالت لها ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت أنسى به ووحشتي من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهي كم تخلفني في دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما في قبر واحد شعر

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم * من الود الا ما رجعتم الى وصلي
ولا تحرموني نظرة من جمالكم * فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلي
فوالله ما يهوى فؤادي سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

(وحكى) انه كان في زمن بني اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور في بعض الايام فأزال الله عنه سحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق الى زمن الكرامة ويبكي ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالي فصلى ماشاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له في المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فائت الملك الفلاني في بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض حتى وصل الى تلك البلد التي ذكرت له في المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء الى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسي عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدي الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتي لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد في الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتي ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد داثر وأقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس في الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر في أمرك قال فتحير صاحب السحابة في أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به في دهليز القصر فلم يجد في طريقه الا مملوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من جريد واذا به ساباط مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش ولبس هناك ما يساوي عشرة دراهم الا سجادة خلقة وقدح للوضوء وحصيرة رثة وشيء من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يا فلانة قالت

لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها الحاجة فخرجت فاذا هي امرأة كالشن البالي عليها مسح من شعر خشن وهي شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخي نطلعك على حالنا أو نقضي حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لي في هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح في الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فلم يمكنني بل خفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديد شمل الدين فما يعوني وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح ارهابا لاهل الشرور ودعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذي رأيته يوصلني الى هذه الخربة فأدخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتي هذه التي رأيتها وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي واجتهدت حتى صارت كالشن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اني أقت لي نائبا ينوب عني طول الجمعة وعلمت أني مسؤل فجعلت لي يوما في الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوصنا ونبتاع من ثمنه طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسي العمر فأخذ ما عملاه من خوص وسار به الى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقي ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما قال فقاما في نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وانك قدير على ذلك اللهم ارددها عليه انك على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي الملك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت فأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرهما شيأ الا أعطاني اياه رحمة الله تعالى عليهما شعر

استعمل الصبر تحظى بعده العلا * ولازم الباب حتى تبلغ الاملا

ومرغ الخد في أعتابه سحرا * واحمل لمرضاته في الحب كل بلا

فما يفوز بوصل يا أخي سوى * صب لثقل الهوى والوجد قد حملا

هذا الحبيب ينادي في الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعي قد وصلا

(وحكي) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي مالا يسرك واغفر لي مالا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد

يا ربه بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله انى لاخشى ان أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل فانه حليم اذا غضب رضى واذا رضى لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير على بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعى بين يديك فاقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لى شئ أتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه (وحكى) انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبى عبد الله الاندلسى وكان شيخا للكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج فى بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر فى آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى فتقدمت اليه وقلت له يا سيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلى فقلت له يا سيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد انحلت عنى عرى الولاية وطويت عنى أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى ان يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن

يزوجها الا من هو على دينها ويلبس الغيار ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير
ففعل ذلك كله وها هو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت
بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه
قلنسوة النصارى وفى وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التى كان يتوكأ عليها اذا قام الى
المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم
بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخوانى وأحبابى ليس لى من الامر شئ سيدى تصرف
فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر
يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم
رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى
يا شبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستعان وعليك
التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا امر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت
الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة
واحدة دويت منها الجبال قال الشبلى فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء
شديدا قال الشبلى فقلنا له هل لك ان ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد
استرعيت الخنازير بعد ان كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه
بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم
من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة
أيام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما
رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم اعطونى ثوبا طاهرا فاعطيناه
ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى
لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاى
أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وستره بغطائه فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من
سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ما قدر هؤلاء
عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست
بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلى ففرحنا به فرحا شديدا
وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة
للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك
زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن
جلوس عنده فى بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت
من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية

الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت تخدمك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا فقالت ياسيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال أغمضى عينيك وأعطينى يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضى الى تلك الزاوية واقرئى الشيخ منى السلام وقولى له أن أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة)

عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع فى الصالحين وقال لقمان لابنه يا بنى كذب من قال الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عرى من حلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكعمه خيفة المحاسبة وهو ولد عاثم دينه مضيع ولدواعى شيطانه مطيع شعر

كأنه التيس قد أودى به هرم * فلا لحم ولا صوف ولا ثمر

وقيل من فعل ما شاء لقى ما ساء وقيل زنى رجل بجارية فاحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لاعرابى كنت تعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذا ذاك بلذة المخالسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهى

فحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدي انه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله في المسلمين مثله وكانت ظلمة القوادة وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشري رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القماري كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمي

ولا ذنب للعود القماري انه * يحرق ان نمت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم (ماجاء في الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وفي ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديداي وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لو دق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا باستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لي من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال آخر

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب في الامور كما يشاء

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحسد في العلماء والوقاحة في النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن في الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال علي رضي الله عنه اذا هبت أمرا فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضي الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ماقل سفهاء قوم الا ذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له اي من لا سفيه له يدفع عنه وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس اذ جاء اعرابي فلطمه فقام اليه واقد بن عمر فجلد به الارض فقال عمر ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم ما لم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح

اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس

وذى ضغن أمت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاقى المعضلات من الرجال

وقال آخر

فان كنت محتاجا الى الحلم انى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج

ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج *

فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج *

وقال آخر

فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد وأحاديث الاجواد)

اعلم أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف فى وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (من الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوى أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فاشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمى أن انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فاشار الى ان نعم فسمع آخر يقول آه فاشار الى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات (ومن عجائب ما ذكر فى الايثار) ما حكاه أبو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فاحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالى لولا أم لى وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له فى رقعتى الجلد وليس لى أم فخذ أنت رقعتى وأعطنى رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل وقيل لقيس

ابن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه
نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال
شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال انى لا أطعم ضيفانى البائت
فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته
وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب
اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحى هذا فأخذناها
وانصرفنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن
الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل
سخى أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا
قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون
القرض معروفا وقال أكثم بن صيفى صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل
للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد
مكتوبا على خزانة تهز القرض عند امكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقتيرك
على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال على رضى الله عنه ما جمعت
من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من
أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم فى النفوس قدرا فسكت القوم
فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس فى فضله فقال صدقت وكان
أسماء بن خارجة يقول ما أحب ان أرد احدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه
أو لئيما أصون عنه عرضى وكان مورق العجلى يتلطف فى ادخال السرور والرفق على اخوانه
فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها فى
حل وقال الحسن رضى الله عنه باع طلحة بن عثمان رضى الله عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم
فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه فى
المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضى الله عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة
فقالت ما عندى شئ فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها
جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسد فأرسلت بها اليه فى أثره فأخذها ودخل بها
السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد
وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه جاءه
اليه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد اعطيت فيه مائة
ألف درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير

رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده وذكر الامام أبو علي القالي في كتاب الامالي أن رجلا جاء الى معاوية رضي الله عنه فقال له سألتك بالرحم التي بيني وبينك الا ما قضيت حاجتي فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأي رحم بيني وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم مجفوة والله لا كونن أول من وصلها ثم قضى حاجته وروى أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي من الاجواد لم يناول أحدا شيأ وانما كان يطرحه في الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له يا هذا أعنا على الدهر فقال لغلامه ما بقي معك من النفقة فادفعه اليه فصب في حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكاني وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال علي دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى ان سألني ويروى أن عبد الله بن أبي بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضي الله عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله عنه ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عني الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفرقها في الناس ولا يرى الا وعليه دين وسمع رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها فرآه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال يا صاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هي لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وحبة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه

جميع ذلك واعتذر اليه رضي الله عنه ولما مات معاوية رضي الله عنه وفد عبد الله بن جعفر
على يزيد ابنه فقال له كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطيني ألف
ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقال بأبي وأمي أنت فقال ولهذه ألف
ألف فقال أما اني لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين
لرجل واحد فقال والله ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم
لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضي
الله عنه هو والحسنان وأبو حبة الانصاري رضي الله عنهم من مكة الى المدينة فأصابتهم
السماء بمطر فلجؤا الى خباء أعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح
لهم الاعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج
الاعرابي بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال قد نسيت
أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقي سيدنا الحسن رضي الله عنه فأمر له
بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضي الله عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فأمر
له بالف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال كفاني اخواني الابل والشاء فأمر
له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا حبة رضي الله عنه فقال والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن
ائتني بابلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم وقال الحسن
والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم انك قد أسرفت في بذل المال فقال بأبي أنتما
ان الله عز وجل عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع
العادة فيقطع عني المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له
رجل مثل هذا الاسود تعطي له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد
استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى
وثناء يبقى وخرج عبد الله رضي الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل
لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام
فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال
ياغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ما هي بأرض
كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال
أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا الاسخى مني فاشترى
الحائط وما فيه من النخل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من
النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لي فهو في سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك
منه فقال يجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك أبدا وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا
وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفا بفناء زمزم
وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائي حتى شربت فقال
أجل اني لأذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال

ادفعها

دفعها اليه وما أراها تفي بحق يده وقدم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على معاوية مرة فاهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك منها شئ قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام فضحك عبد الله وقال خذها فهي لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد علي قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم وحبس معاوية عن الحسين بن علي رضي الله عنهما صلاته فقيل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وأني تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وانه محتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره اني شاطرته فان كفاه والا احمل اليه النصف الثاني فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبت انه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لي في هذه الليلة مولود واني سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك في الهبة وأجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لابيه مائتي دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصاري عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة فقال الانصاري جعلت فداءك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

نقيك ما نخاف وان ظننا * به خيرا أراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا * اذا ملنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فامر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال
ولم أر في الخطوب أشد وقعا * وأمضى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

فاعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم اني لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسي عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا

محمد الا ما أخبرتني كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام اعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضي بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فأقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فليس الى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتى به فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وتفكر في نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء والله طنه ولقد هممت ان أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد في دياره * من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت نائله
تعود بسط الكف حتى لو أنه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن

دعيني أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال اذا قدمت واسطا فأتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

أفاض القوم في ذكر الجواري * فاما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلي اذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت ان تأذن لي في الرجوع فأكبت عدوي وأسر صديقي فقال انما أخيرك بين

خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أو لم تغنني أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله مالا أقدر على وصفه وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال اعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما اتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أباخالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذووا الحاجات أين يزيد

فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود

وما السرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ويحيي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضها اليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن اطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضياع تقوم بالف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن أبي داود أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيي بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيي يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيي بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيي ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت

فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا مُتما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزي بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه من كانت له الي حاجة فليرفعها الي في كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضي الله عنه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الارض فكتب اني فقير فقال يا قنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة * وليس تبغي بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزي بالذي فعلا

فقال يا قنبر رده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

اني وان لم ينل مالي مداخلتي * وذاب ما ملكت كفي من المال
لا أحبس المال الا حيث أنفقه * ولا يغيرني حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا ما لديه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب

وقال بعضهم

أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وأمنحه فرشي وأفترش الثرى * وأجعل سترا الليل من دونه لبسي
حذارا أحاديث المحافل في غد * اذا ضمني يوما الى صدره رمسي

وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيأ وأعط منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقي عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أخذه بحيى من نظمه فقال

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يا بني ما دام قلمك يرعد فأمطر معروفا وقال بعضهم

لا تكثري في الجود لائمتي * واذا بخلت فأكثري لومي
كفي فلست بحامل أبدا * ما عشت هم غد الى يومي

وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه لا تستحي من عطاء القليل فالحرمان أقل منه وسئل

اسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى شهوات الى سليمان ابن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لي في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

* أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد

ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبيه خالد بن أسيد *

عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد

* ذروه ذروه انكم قد رقدتمو * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل أجعله ذخرا لي وأجعل الله ذخر الولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وكان ابن مالك القشيري من الاجواد قيل انه أنهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

يا خال ذرني ومالي ما فعلت به * وخذ نصيبك منه انني مودي *

فلن أطيعك الا أن تخلدني * فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي

الحمد لا يشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود *

وقال المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بفعاله ونزل بأبي البحتري وهب بن وهب القرشي ضيف فسارع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فأنكر ذلك عليهم فقالوا نحن انما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل ووفدت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولي غلام ولكن قولي همام يا غلام اعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها نعما فجعلها ابلا اناثا وقال أبو العاص الضبري

والعز صيف لا يراد بربعه * من لا يرى بذل التلاد تلادا

والجود أعلى كعب كعب قبلنا * فمضى جوادا يوم مات جوادا

وقال آخر

أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينها يواقيت وجواهر انفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال احمد بن حمدون فقال لى ولاترجة الهاشمى اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه فوالله مارأينا فى الدنيا شيأ أحسن منه ولاشيأ حسنا الا وقد عمل فيه فمددت أنا يدى الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته فى كمى ثم جئناه فوصفناله حسن مارأيناه فقال اترجة يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شىأ وغمزه على كمى فأرته الغزال فقال يحيانى عليكما ارجعا فخذا اما أحببتما فضينا فلا قاأ كامنا وأقبيتنا وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن قاذيدنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ماشئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبى سطلا من ذهب مملوأ مسكا فأخذه بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقى فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فانى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله بالاول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال

ياطلح أنت أخو الندى وعقيده * ان الندى مامات طلحة ماتا

ان الندى ألقى اليك رحاله * فبحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاعجم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف دينار فقال

ان السماحة والمروأة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدنى فقال كل شئ وثمنه ووفد أبو عطاء السدى على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فأنزله وأحسن اليه وقال ماعندك يا أبا عطاء فقال وماعسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير انى قلت بيتين قال هات ماقلت فقال

ياطالب الجود اما كنت تطلبه * فاطلب على بابه نصر بن سيار

الواهب الخيل تعدو وفى أعنتها * مع القيان وفيها الف دينار

فاعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جملة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيأ فبلغ ذلك نصرا فقال ماله قاتله الله من سيد ما أضخم قدره ثم أمر له بمثله وقال العتبى أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذا هو باعرابى يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان أرادنى هذا

الاعرابي فأوصله الي فلما وصل الاعرابي سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فانشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل ما بيدي * ولا أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهري على كلكله * فارسلوني اليك وانتظروا

فاخذت عمر الاريحية فجعل يهتز في مجلسه ثم قال أرسلوك الي وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بالف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن في ذلك فقال أنفذه فابقى الانفاذ وان خروج المال أحب الي من الاعتذار واستشرفه الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيأ وأراد الجواد الكريم أن يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذ * ووقف اعرابي على ابن عامر فقال يا قمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة وأكدت بي الآمال الا بفنائك فامنحني بقدر الطاقة لا بقدر الجد والشرف والهمة فأمر له بمائتي ألف درهم وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

فقال أوقلت دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك * ولما عزل عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكائي جزعا من العزل ولا اسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلي أمرها من لا يعرف لها حقا * وأراد الرشيد أن يخرج الى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك لنا من الاموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور ابن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء توهم انا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه في وجهنا هذا فقال منصور أنا أستخبر لك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيأ فقد تركتها له * وقيل ان الرشيد وصل في يوم واحد بألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور في يوم واحد لبني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ما ذكر * وعن الاخفش الصغير قال كان أسد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأثبتهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتنقل لاهله فمر به عميلة الفزاري فسلم عليه وقال ما أصارك يا عم الى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصون وجهي عن مسئلة الناس فقال والله لئن بقيت الى غد لاغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام في جنح ليل قال فكأنما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فانشأ يقول

رآني على ما بي عميلة فاشتكى * الى ماله حالي فواسى وما جبر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه * تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيماء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي جيده القمر

وكان عمر بن عبد الله بن معمر التيمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيأ لك المال الذي قد قبضته * ولم يبق في كفي غير التحسر
أبوء بحزن من فراقك موجع * أناجي به صدرا طويل التفكر

فاجابها بقول

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذري
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق الى مدينة تسابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بارض اقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم واذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وامر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته * وقال أبو العيناء حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال ان امير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * ففي العلا لك أخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شئ في بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

شيأ ان لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم

لم يبلغا المشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب
وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها في الشهر الف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ في دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما ايها الامير اني اطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان اليد تمتد الي وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطي ام ارد قال فاطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا تردها * وقال سلمة بن عياش في جعفر بن سليمان
وما شم أنفي ريح كف شممتها * من الناس الا ريح كفك أطيب
فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا ممدحا فتغدى عنده أعرابي يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس في الدخول على هيئتهم بالامس فقال أو كل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فانشأ يقول
كل يوم كانه عيد اضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر
وله ألف جفنة مترعات * كل قدر بعدها الف قدر
وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقي فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة ان يخجل الفتى فذكر أن اباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله أن يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا ادعك تقاسي الذل على أبوابهم * ودخل رجل على علي بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الا ما حميتني من خصمي فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد امرت لك بمائة ألف درهم فاخذها وانصرف فبينما هو في الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا فارجع الينا متظلما وقال الاعمش كانت عندي شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي من علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيري قال كان مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاتي به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر
اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادي بصوت يا يزيد بن مزيد
فامر له بفرس ابلق كان معجبا به ومائة دينار وخلعة سنية فاخذها وانصرف (وحكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر في المنام وهو يقول له هل لك ان تبيعني بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائي بعير سمين فقال نعم وباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره في النوم فانتبه الرائي من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام واتم نحره وقطع لحمه وطبخوه واكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني

وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته * وروى عن الهيثم بن عدى أنه قال تمارى ثلاثة نفر فى الاجواد فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعد بن عبادة فقال الآخر بل أسخى الناس اليوم عرابة الاوسى فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم فى الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر بم يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله فى ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله وقال ضع رجلك واستوعلى الناقة وخذ ما فى الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك قيل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها وقال لو تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت تفعله فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

واذا ما اختبرت ود صديق * فاختبر وده من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شئ ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وان شئت فاعتق فأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لانه أعطى على جهد * قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا اننا العبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الى وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق يمناه الندى وشماله
هو البحر من أى الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى * وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب

وانبت

وأبدت ريشا في الجناحين بعدما * تساقط مني الريش أوكاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال ياغلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما معي وحسبي ما أخذت وانصرف * وأما الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية فهم حاتم بن عبد الله الطائي وهرم بن سنان وخالد بن عبد الله وكعب بن مامة الايادي وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء في المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور وأما خالد بن عبد الله فانه جاء اليه بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشده يقول

ياواحد العرب الذي * مافي الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فقال ياغلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف وأما حاتم فاخباره كثيرة وآثاره في الجود شهيرة ويكنى أباسفانة وأباعدي وكان يسير في قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدي يعادي النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا الى طيء فهرب عدي باهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتي بها الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت يامحمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها وقال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له ياأخي ائت هذا الرجل قبل ان تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الارض فأسلم عدي بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يابنية ان الكريمين اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما ان اعطي وتمسكي واما ان أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شئ فقالت له منك تعلمت

مكارم الاخلاق قال ابن الاعرابي كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل وهب اذا سابق سبق واذا أسر أطلق وكان اذا أهل رجب الذى كانت تعظمه مضر فى الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال فى الجاهلية وكان طلاقهن ان يكن فى بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقى حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدى ماترى مافعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فأخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبى الى ابن عمى مالك وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فأرسل الينا بشئ نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظرى الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه وان ضرب بلحيته على زوره ولطم رأسه فأقبلى ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولى لها هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لاجله وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبى الى حاتم وقولى له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذى طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك ياماوية الذى خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بار فيوقدونها فى بقاع الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه فى سنة مجدبة (حكى) أن ملحان ابن أخى ماوية قال قلت لها يوما ياعمة حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخى أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذنى واياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل على يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام فرققت به لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام

فقال

فقال لي اغث فلم أجبه فسكت ونظر في فناء الخباء فاذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ماهذا فقالت يا أبا عدي أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها أحضري صبيانك فوالله لاشبعنهم فقامت سريعة لاولادها فرفعت رأسي وقلت له يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لاشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعي واشوي وكلي وأطعمي صبيانك فأكلت المرأة وأشبعت صبيانها فأيقظت أولادي وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا هو اللؤم تأكلون وأهل الحي حالهم مثل حالكم ثم أتى الحي بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ما ذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أماوي ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر

وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طيء فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولقي القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي ولما مات عظم على طيء موته فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فبقي والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثديي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا وبيدك على الآخر فأنى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء * وان مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنباحه والضمير الغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدي الضلال وتأتي الاضياف على نباحها والحكايات في ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر وانا لم نجد شيأ يبقى على ممر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك في القيامة كما ادخروا واعلم أن المال كول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أي الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والثلاثون فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وماجاء عنهم)

قال الله تعالى الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخل جامع لمساوى القلوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما ان البخل لو كان قميصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلى وخالد بن صفوان فاما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فاشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة اضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين فى اموالنا كنا أسوأ حالا منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لاطيلن حبسك ثم يطرحه فى الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبنى جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتى هل أزاد به عمرا
اذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل بن هرون كتابا فى مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبى فنن

ذرينى وأتلافى لمالى فاننى * أحب من الاخلاق ماهو أجل
وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدى بخيلا جدا أصابه القولنج فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل مافى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادى فى طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال ياربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة * وكان أبو العتاهية ومروان بن أبى حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان مافرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لى المهدى فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه فى القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب

بنقصان

بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما أعاره اياها فكيف يكسوني وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبي بخيلا جدا مدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداء نا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لأكره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك اما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه ورقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله أما قلت عنده من يأكله انظر في أي مكان رميته فأتني به فقال والله لا أدري أين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته رميته في بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم في أبي دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزي صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدافع الآلام اذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من اهل خراسان ليلا فاتانا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الاعودا عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل

علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما تعلق به شعرة من قطن العتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين وقال الهيثم بن عدي نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

• يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان قالت يا أبت مادمت مستمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا أم قلوا * وألأم اللئام وأبخلهم حميد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين اخرى تليها قيد أظفور

وقال فيه أيضا

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

واكل أعرابي مع أبي الاسود رطبا فاكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فاخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها وقال أعرابي لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورحل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم والحمدوني

* رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذا شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق اليه * ببيت لم يرد فيه القيام
أبي وابنائي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له أبي يا ابن كلب * على خبزي أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فأين هذا من القائل

بخيل يرى في الجود عارا وانما * يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا
اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا

وقال آخر

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له في العالمين خليل
وقالوا اذا سألت لئيما شيأ فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربيع الهمداني
جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم
واني لارجو أن أموت وتنقضي * حياتي وما عندي يد للئيم
وانشد الجاحظ لابي الشمقمق
ممن تعلمت هذا * أن لا تجود بشئ
أما مررت بعبد * لعبد حاتم طي
ومما قالته الشعراء في البخلاء وطعامهم فمن اهجى ما قيل فيهم بيت جرير في بني تغلب
والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا
وله ايضا فيهم
قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار *
فتمنع البول شحا أن تجود به * وما تبول لهم الا بمقدار *
والخبز كالعنبر الهندي عندهم * والقمح خمسون اردبا بدينار *
فاين هؤلاء من الذي قال فيه الشاعر
أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره
وقال بعضهم في بخيل
* أنا بابخيل بخبزته * كتمل الدراهم في رقته
اذا ما تنفس حول الخوان * تطاير في البيت من خفته
وقال آخر
تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان
وقال آخر وقد بات عند بخيل
فبتنا كانا بينهم اهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد
وقال آخر
وجيرة لا ترى في الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تطبخ النار
وقال آخر واجاد
فصدق أيمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه
وقال آخر

ذهب الكرام فلا كرام * وبقي العضاريط اللئام
من لا يقيل ولا ينيل ولا يشم له طعام

وقال آخر

خليلي من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
اذا جئته في حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

وقال آخر

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى قحاب * وأما سيفه فعلى الكلاب

وقال آخر

زففت الى نبهان من صفو فكرتي * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وقال آخر

لو عبر البحر بامواجه * في ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوأة خردلا * ما سقطت من كفه واحده

وقال آخر

يا قائما في داره قاعدا * من غير معنى لا ولا فائدة
قد مات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال آخر

نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا في البعاد
فلو أبصرت ضيفا في منام * لحرمت الرقاد الى المعاد

وقال آخر

لا تعجبن لخبز زل من يده * فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

وقال ابن أبي حازم

وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لي بفتى كريم
بلوت ومر بي خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يجود على عديم

ومن رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمي واستهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد الي أمل آمل ولا يبسط نحوي رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لجالستنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال احدهما ان

صديق الى زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا واخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذي اشترى الرأس * وقال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لي لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون اولاده ترمقه فقال ما اعطي أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي ام لعام قال لست بصاحبها فقال الأصغر يا أبت امصها ثم أدقها واسفها سفا قال انت صاحبها ولك زادك الله معرفة وحزما * ووقف اعرابي على ابي الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابي أما أني قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدي بها قال قد ولدت قال كان لا بد لها ان تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات احدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزنا على ولديها قال ما اطيب طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدي ووالله لا ذقته يا اعرابي * وقيل خرج اعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه أعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحي نبحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد علي ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما انا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه أعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هي تكلمني اذ أقبل صاحب البيت فلما رآني قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بي بالامس فتبسمت فقال لم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية

وبعلها وماسمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى . وان بعلها أخوامرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك

(أما اباحة الطيب من المطاعم) فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده فى مأكله ومشربه وكان الحسن يقول ليس فى اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من اساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى احكام هذا احوج من ترك الخبيص *(واما نعوت الاطعمة وما جاء فيها)* فقد نقل عن الرشيد أنه سأل ابا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما اطيب فقال يا أمير المؤمنين لا اقضى على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذه اللقمة ومن هذه اللقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت ان أقضى لاحدهما اتى الآخر بحجته واختلف الرشيد وام جعفر فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضى فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فاحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا دينارا وسمع الحسن البصرى رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الاصمعى أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى اعرابى بالفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة وهو يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول عائشة اذا

طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد القلب الحزين وهى شجرة أخى يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد و يزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب و يغزر الدمعة وعن أبى رافع قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوى المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية و يصلى خلف على ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل وهو أعلم والجلوس وحدى لى أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الارز يزيد فى العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الارز يرى منامات حسنة ومن رأى مناما حسنا كان فى نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الارز الابيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لابى الحرث ما تقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف الالوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضى الله عنه فاتخذ الالوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا مائدتى بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقى اللحم فى العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة و يقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

فى حبة القلب منى * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينتظر به الادام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعونى الى الموز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح * وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على

رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا * وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسي والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فأجابه والله العظيم ماعملت الا قبل ان توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان اباجهم بن عطية كان عينا لابى مسلم الخولانى على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويقا للوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

وقال أبو طالب المأمونى

فما حملت كف امرئ متطعما * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة * ودخل السائب على على رضى الله عنه فى يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما وانك لو شربته لم تزل دفئا شبعان سائر يومك * وعن نافع بن أبي نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات *(وأما الزهد فى المآكل) فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى ان قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول اف اف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادم الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ماقرب اليه وقال عمر رضى الله عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام شكا الى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى

(وأما ماجاء فى آداب الاكل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وماشرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الاكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الاكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ما عاب النبى صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمرو بن هبيرة عليكم بما كرة الغداء فان مما كرته تطيب النكهة وتعين على المروأة قيل وما اعانته على المروأة قال ان لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم من لقط شيأ من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابى يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله عنهما دجاجة ففكها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية ان الحسن يوقر مجالسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله عنهما وحضر اعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك *(وأما ما جاء فى كثرة الاكل)* فقد روى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكا الا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذانى طعام قط فقال له آخر وأنت لو كانت فى معدتك الحجارة لطحنتها وقال على كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الأكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

اذا لم أزر الا لآكل أكلة * فلا رفعت كفي الى طعامي

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضي الله عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشتري غلاما فألقى بين يديه تمرا فأكل فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الاكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا

(وأما أخبار الاكلة) فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك ملح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو في بطنك *وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازني ما أكلة بلغتني عنك قال جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيأ يسيرا حملته على ظهري فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لي فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل الي وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة أيام وقال الاصمعي ان سليمان بن عبد الملك كان شرها نهما وكان من شرهه أنه اذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوي لا يصبر الى ان يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس اني عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتني ثم أمر لي بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الي وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال اني صائم فأكله ثم قال يا شمردل ويلك أما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ما هو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعدوا أكل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان علطا عتلا * وقال اعرابي لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من نسج اضراسك * وقال أبو المحسر الاعرابي كانت لي بنت تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة في ذراع كأنه جمارة فلا تقع عينها على لقمة

نفسه الا خصتني بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لي فيبرز كفا كأنها كرباذة فوالله لن تسبق عيني الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها * وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة ويقال فلان محاكي حوت يونس في جودة الالتقام وعصا موسى في سرعة الالتهام وقيل لابي مرة أي الطعام احب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولي السوء في مال اليتيم * وقال صدقة بن عبيد المازني أولم لي أبي لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازني فقدمنا له جفنة مترعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوأة من النبيذ فوضع طرفها في شدقه وفرغها في جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل في كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بني شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتي بزنبيلين في أحدهما تين وفي الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدي فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت بالقاء اليه رغيفا رغيفا فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله * وحدث الشيخ نديم الدين الجوهري انه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبي سفيان كان يأكل في كل يوم مائة رطل بالدمشقي ولا يشبع * ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصده قال الى الاردن قال لماذا قال بلغني ان بها طبيبا حاذقا اسأله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي

(وأما المهازلة على الطعام) فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال قالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فاخذت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فتناولت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك * واشترى غندر يوما سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا فشم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت * ودخل الجدوني على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتموني ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات في ذلك كثيرة

(وأما الضيافة واطعام الطعام) فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم

المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له وقال الحسن كنا نسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه السلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ماخيرت بين شيئين الا اخترت الذي لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ماخلا مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهري اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيام * وقالوا المائدة مرزوقة أي من كان مضيافا وسع الله عليه * وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه السلام وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الاسلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شيء فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجني الى ان افد على الناس فما استحسنته من اخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته *(وأما آداب المضيف)* فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة في الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوي رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال الطائي

سلي الطارق المعتر ياأم مالك * اذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أأبسط وجهي انه أول القرى * وأبذل معروفي له دون منكر

وقال آخر في عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

ولله در القائل

الله يعلم أنه ماسرني * شيء كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتني * ضيفا له والضيف رب المنزل

أخذه من قول الشاعر

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق

وكل مافيه حلال له * الا الذي حرمه الخالق
وقال الاصمعي سألت عيينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق فقال أوما سمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقري الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

وقال بعض الكرام

أضاحك ضيفي قبل أنزل رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال آخر

عوّدت نفسي اذا ما الضيف نبهني * عقر العشار على عسر وايسار

ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

* مطية الضيف عندي تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضي الله عنهما من تمام المروأة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة ومن آداب المضيف ان يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وان لا يحدث بما يروعهم به كما حكى بعضهم قال استدعاني اسحق بن ابراهيم الظاهري الى أكل هريسة في بكرة نهار فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأسر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد في أوّل النهار يخدم القوم ويأنسون به ففي آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فخاف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكي الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا على ولدي فانه بالامس سقط من على السطح فمات لساعته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغي لعاقل ان ينغص على أضيافه في التذاذهم ولا يكدر عليهم في عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف ان يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الامراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوّا يأكل طعامنا ولا يخدع لا عكنه الله منا والاليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أوّل الشناعة عليه

وعليه أن يسمر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وان يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند انه قال اذا ضافك أحد فأره الكنيف فانى ابتليت به مرة فوضعته فى قلنسوتى وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصدقة أو كيدة وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الانصارى وكذلك كانت عادة السلف رضى الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودى ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم فى السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضى الله عنها فأكل طعامها وهى غائبة وكان الحسن رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع فقال له يالكع اتل على آية الاكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم ان لا يتأنق عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر ما قدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف *(وحكى)* عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفرانى ببغداد فكان الزعفرانى يكتب فى كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعى منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفرانى ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضى الله عنهم أن يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهى *ومن السنة ان يشيع المضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضنى سراج لا يضىء ورسول بطىء ومائدة ينتظر لها من يجىء ونزل الامام الشافعى رضى الله عنه بالامام مالك رضى الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت منى فخدمة الضيف على المضيف فرض

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابرى العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه ويصف زيادة به ويشتهى أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها الى النفوس ويعتذران فى أصحابه من يحضر بالغداة عنده (وحكى) عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه فظن البخيل ان ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى ان تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل

يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخي والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك * وحكي عن بعضهم انه قال غلب علي الجوع مرة فقلت أمضي الى دار فلان لا تغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لا قلت لك عليه الا ان أعطيتني كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشئ اليسير وتفخيمه (حكي) عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه انا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي يقول

قالت أما ترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شئ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس يا هذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض البخلاء

سرى نحونا يبغي القرى طاوي الحشى * لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا الى الصبح شاتم * يعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان ما بين القائلين

(وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر الى موافقة المضيف في أمور منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن * فقد حكي انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما احتاج الى مكان أبيت فيه فقال الاعرابي اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا أرى ان تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك (وحكي) عن بعض التجار قال استدعاني أبو حفص محمد بن القاسم الكرخي لاعرض عليه قماشا من تجارتي فبينما أنا بين يديه واذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العامي اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثراة في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاءني غلامه بعلته فاستدعاني اليه فقال لي يا فلان اني قليل الاكل بطيء الهضم ولقد طابت لي مؤاكلتك بالامس فأريد أن لا تنقطع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طلبي فحصل لي بقربي منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شئ من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وان لا يتطلع الى ناحية الحريم وأن لا يخالفه اذا أجلسه في مكان واكرمه به وان لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل في بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سيئ الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل أنه كريم الاخلاق وما أظن سوء اخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولا بد ان اتطفل عليه لارى حقيقة امره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى ان جاء الى باب داره

فأذن لي فدخلت فأجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أجلسني وأعطاني مسندا فاستندت اليه فأخرج لي شطرنجا وقال أتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد أن يسكب الماء على يدي فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدي بعد ان قدم نعلي فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت يا سيدي أنشدك الله الا فرجت عني كربة قال وماهي فأخبرته الخبر فقال والله ما أحوجني لذلك الا سوء أدبهم يصل الضيف الى داري فأجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشئ مستظرف الا ردّه علي ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم اريد ان أشيعه فلا يمكنني من ذلك فأقول في نفسي لا يحكم الانسان على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفي معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغي للضيف ان يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالأمر للانسان في بيته * ان شاء أن ينصف أو أن يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا ان يكون بدويا فانها عادته ومنها ان يتتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والامراق والحلوى وغير ذلك ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عدد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنعاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والخلال والمزبد والمرمخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباب والنفاخ والحامي والمجمع والشطرنجي والمهندس والمتمني والفضولي فأما المتشاوف فهو الذي يتحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا الناحية الباب يظن ان كل ما دخل هو الطعام وأما العداد فهو الذي يستغرق في عد الزبادي ويعد على أصابعه ويشير اليها وينسى نفسه والجراف هو الذي يجعل اللقمة في جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حس البلع حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنعاض هو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض أصابعه في الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة بأطراف اسنانه حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يبهت في وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين ايديهم واللتات هو الذي يلت اللقمة بأطراف أصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام هو الذي يعمل ذراعيه يمنة ويسرة لأخذ الزبادي والقسام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها في الطعام من فيه والخلال هو الذي يخلل اسنانه بأظفاره والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام والمرمخ هو الذي يرمخ اللقمة في الامراق فلا يبلع الاولى حتى تأتي الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغزرحيرة فيرش على مؤاكليه والمفتش هو الذي يفتش على اللحم بأصابعه والمنشف هو الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذي يملأ الطعام لبابا والصباب هو الذي ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليبرده

والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامى هو الذى يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذى يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجى هو الذى يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذى يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه ههنا حتى يأتى قدامه ما يحب والمتمنى هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من يأكل والفضولى هو الذى يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى القدور شئ فأطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق فى يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغى ان يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغى أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا أنه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت فى بطنى واذا قيل له أين شربت قال شربت فى فى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشترى شيأ فأذوقه فيحرز صاحب المنزل ويخجله اذا لم يكن فى بيته شئ موجود وليت شعرى اذا كان لا يأكل فلأى شئ حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لا فى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول أنا والله كلما مر على عام تزايدت شهوتى وكثر لهذا الفن تشوقى ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستثقل زوجة صاحب البيت ما هى فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقهما منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن فى نفسه أنه يعشق وان رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة ويقع فى الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقى ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال

صاحب البيت بغير اذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقاده بذلك المنن وأكثر الناس واقع فى ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت أنه يوصينى بترك الحدود وقال الحسن بن أبى الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال على كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب الى العفو حتى انى أخاف ان لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتى فى العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبى للعفو لما تقربوا الى الا بالجنايات وقال على كرم الله وجهه اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال رضى الله تعالى عنه أقيلوا ذوى المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه وقال رضى الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه اياك اعنى فقال له وعنك أعرض وكان الاحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما آذانى احد الا أخذت فى امره باحدى ثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان مثلى تفضلت عليه وان كان دونى أكرمت نفسى عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال انصر لى من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه فى الحلم كما يختلف الى الفقهاء فى الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخى اطلقوه واحملوا الى أم ولدى ديته فانها ليست من قومنا ثم انشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين ادعوه وذا ولدى

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره والعرب تقول لا سودد مع الانتقام والذى يجب على العاقل اذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه الا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدى بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعى ذكر له عنه أنه يميل الى بنى على والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبى ثم قال

فهبنى مسيئا كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة واحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله وأحضر الى الهادى رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقرارى يلزمنى ذنبا لم أفعله ويلحقنى جرما لم أقف عليه وانكارى رد عليك ومعارضة لك ولكنى أقول

فان كنت ترجو فى العقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز فى الاجر

فقال الله درك من معتذر بحق او باطل ما امضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضى الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للامير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال أصلح الله الامير أنت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة شهباء وجهها فقال انى لا امل دابتى حتى تملنى ولا امل رفيقى حتى يملنى فقال أصلح الله الامير اما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الام قال على الخبير سقطت أمى النابغة بنت حرملة بن عنزة سبتها رماح العرب فأتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان امه كانت بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو للعاص لان العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى أخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الامير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم أحد لانكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على

ابن أبي طالب رضي الله عنه على منابركم وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحدا فقالت فليسمعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ في الاحسان اليها وكان معاوية رضي الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول اني لآنف أن يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا يسعها جودي وهذه مروءة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك فقال ذاك الذي أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبي سفيان الى عقيل بن أبي طالب أما بعد يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الى أن يغيب في الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أني * أرى أن لا أراك ولا تراني
ولست أقول سوأ في صديقي * ولكني أصد اذا جفاني

فركب اليه معاوية رضي الله عنه وناشده في الصفح عنه واستعطفه حتى رجع وحكى عنه رضي الله عنه انه لما ولي الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده في مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب علي تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضي الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضي الله عنه بئسما أشرتم به وقبحا ما قلتم أيحسن أن يشتهر عني أنني بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها اني اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان أنفذ الي الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان

الكواكب لا تضىء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد
ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا
يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب
الحق باطله فانه لا يستوى المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال
النزال والصبر الصبر الاوان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير
الامور عاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك
وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا فى كل دم سفكه فقالت أحسن الله
بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية
أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرنى قولك وأنى لى بتصديقه فقال لها معاوية والله
لوفاؤكم له بعد موته أعجب الى من حبكم له فى حياته فاذكرى حوائجك تقض فقالت
يا أمير المؤمنين انى آليت على نفسى أن لا أسأل أحدا بعد على حاجة فقال قد أشار على
بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا بل نعفو عنك
ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن
أساء وأعطى من غير مسئلة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها فى كل
سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والى الكوفة بالوصية بها
وبعشيرتها * وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون
فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية فى أرض
عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية ان عبيدك
قد دخلوا فى أرضى فانههم عن ذلك والا كان لى ولك شأن والسلام فلما وقف معاوية على
كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بنى ما ترى قال أرى أن تبعث اليه
جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بنى ثم أخذ
ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب
ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى ما ساءه والدنيا بأسرها هينة عندى فى
جنب رضاه نزلت عن أرضى لك فأضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على كتاب معاوية رضى الله عنه كتب
اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من
قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به
الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن
تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء * ولما
دخل العيل دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما
هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم
يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا فى قصرى وتحت جناحى تهتك
حرمتى وأنت فى قبضتى ما حملك على هذا قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى فقال له

معاوية فان عفوت عنك تسترها علي قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجاني وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضتم أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا اربط جاشا وأثبت جنانا من رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبني أمية فأمرني باحضاره فاحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التي عندك لبني أمية فاخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بني أمية قال لا قال فوصي لهم في أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسئلتك عما في يدي من ذلك قال فأطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين في حقوقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعله في بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه فان بني أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شئ وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتي يا أمير المؤمنين أن تجمع بيني وبين من سعى في اليك فوالله الذي لا اله الا هو ما في يدي لبني أمية مال ولا وديعة ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قابلت بين هذا القول الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامي اختلس لي ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق مني وخاف من طلبي له فسعى بي عند أمير المؤمنين قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وانه اخذ المال الذي ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع في يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته ثلاثة الآلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى أدفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسي فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لانه لا بد منه وانما بكيت أسفا على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط علي فضحك وعفا عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر بأن يضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لي بك حرمة قال وما هي قال ان أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاي اني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد يده على فمه وضحك وعفا عنه * وأمر الحجاج بقتل رجل فقال اسألك بالذي أنت غدا بين يديه أذل موقفا مني بين يديك الا عفوت عني فعفا عنه * ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بني تميم فقال والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله * وكان ابراهيم

ابن

ابن المهدي يقول والله ماعفاعني المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسد بقتلي * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان * وفي بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة في العمر وأصله قوله تعالى وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض وقال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليلا يدعوني فأوجست منه خيفة فقال له أنت القائل انا ركن الدولة والثائر لها والضارب اعناق بغاتها لا أم لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت يا أمير المؤمنين ماقلت هذا انما قلت انا عبد الدولة والثائر لها فاطرق وجعل يحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت احسن من هذا قولي

خلافة الله في هرون ثابتة * وفي بنيه الى ان ينفخ الصور

فقال يافضل اعطه مائتي ألف درهم قبل ان يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح بي ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق باطرافك وأقول أى رب سل مصعبا لم قتلني فقال اطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الامير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

* وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لان امكنني الله منه لافعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وامر له بصلة * وقال الحسن ان افضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال أبو تمام

رقيق حواشي الحلم لوان حلمه * بكفيك ما ماريت في انه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ماشئ أشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته أشد على من كلامه

شعر

اذا كنت تبغي شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن على بن الحسين رضي الله عنهما أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفي التوراة اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فاندر عينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يباعدني من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب اضاع الارب قال أبو العتاهية

ولم أر في الاعداء حين اختبرتهم * عدوا لعقل المرء اعدى من الغضب

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء اثما ان يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامل من عماله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر

ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فقم الي بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الاولى اقصر فما انت وهذا الغضب انك لست بالله انما انت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذاك روى انه أنوشروان وكان الشعبي أولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضا * انما الاحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء وروى ملأه الله امنا وايمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى أحدا يشفي غيظه * وقال أبو ذر لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال اردت ان أغيظك قال لاجمعن مع الغيظ اجرا انت حر لوجه الله تعالى * واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضي الله عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك بن مروان اعرابي يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من السجن يقول شعر

يدي يا امير المؤمنين اعيذها * بعفوك ان تلقى مقاما يشينها

فلا خير في الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فأبى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه أم حمزة وقالت يا أمير المؤمنين بني وكاسبي وواجدي فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله شعر

اذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق

فلست اذا اخا عفو وصفح * ولا لاخ على عهد وثيق

اذا زل الرفيق وأنت ممن * بلا رفق بقيت بلا رفيق

اذا أنت اتخذت أخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق

فما تدري لعلك مستجير * من الرمضاء فرا الى الحريق

فكم من سالك لطريق أمن * أتاه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فاني أبيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن أحييها كبيرا واني لا أكافئ من عصى الله في بأكثر من ان أطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه

فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى * وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات اقولها قال قل فانشأ يقول

زعموا بان الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتمم لقمة * ولئن شويت فاننى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وافلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله قال الشاعر

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

قال بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال آخر

اذا ذكرت أياديك التى سلفت * مع قبح فعلى وزلاتى ومجترمى
أكاد اقتل نفسى ثم يدركنى * علمى بانك مجبول على الكرم

وروى ان عمر رضى الله عنه رأى سكران فاراد ان يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا أحب ان أضرب مسلما لحمية نفسى * وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر بضرب عنقه فانشأ يقول

وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله واكرمه * وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لا منان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عمن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
واما الذى مثلى فان زل اوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يابني اذا أردت ان تؤاخي رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره قال الشاعر

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا * فمن قبل ان تلقاه بالود اغضبه
فان كان في حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد قال الشاعر

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف اياكم ورأى الاوغاد قالوا ومارأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لابي بكر الصديق رضى الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعي * وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو ماش في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقى معك شئ فهات وقله ههنا فاني اخاف ان يسمع فتيان الحي فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يابني ثلاثة لايعرفون الاعند ثلاثة لايعرف الحليم الاعند الغضب ولا الشجاع الاعند الحرب ولا أخوك الاعند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو اصابك جاهل

وقال آخر

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لابالمنكر

وقال آخر

قل ما بدالك من صدق ومن كذب * حلمي اصم واذني غير صماء

ويروى في بعض الاخبار ان ملكا من الملوك أمر ان يصنع له طعام واحضر قوما من خاصته فلما مد السماط اقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شئ يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيها على رأس الملك فقال له ويحك ماهذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا بذنبي الذي به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره واخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال ياقبيح الفعل ياحسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم

ان

ابن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا * واصفح بعفوك عنه

ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى أعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه لا تثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى

فان جحدتك ما وليت من كرم * انى لباللؤم أولى منك بالكرم

* وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا ابنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما ان تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا

أحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنين واربعا

أحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة * ولما قدم عيينة ابن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذى يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخى لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لى عليه فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (وحكى) ان رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن انه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل

فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل ثم شرع في ان يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بامر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاه المبلغ الذى في هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتني ستر الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان ان يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما واحسنهم خلقا واكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وابرهم بالمعتر عليه نجعنا صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

وأما ما جاء في العتاب فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ شعرا

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من * يدى غلهما غيظا الى عنقي
واستعير له من سطوتي حنقا * واين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت في سفر ومعي رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحي فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شئ ثمرته العداوة وقال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين في الهوى * عتابهم في كل حق وباطل

كتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

وقال آخر يعاتب صديقه

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها في سالف الدهر تنظر

وقال أبو الحسن بن منقذ

أخلاقك الغر السجايا ما لها * حالت قذى الواشين وهى سلاف
ومرآة رأيك في عبيدك ما لها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه حط عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لى عليك حسيبا

اكذا

اكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان ارسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذرى ان أجبت بمثله * اوكنت بالعتب العنيف محسبا
لكنني خفت انتقاص مودتى * فيعد احسانى اليك ذنوبا

وقال آخر

أراك اذا ماقلت قولا قبلته * وليس لاقوالى لديك قبول
وماذاك الا ان ظنك سيئ * بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسى تائها * بنفسك محيا وهو منك قليل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضاقة ثم ولى عملا فأثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا انالتك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال آخر فى المعنى

دعوت الله ان تسمو وتعلو * علو النجم فى أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عنى * فكان اداء على نفسى دعائى

وكان ابن عرادة السعدى مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد

ويرجعنى اليك اذا نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

وقال أبو الحسن القابسى

اذا أنا عاتبت الملول فانما * أخط بأقلامى على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ماقيل فى العتاب

وفى العتاب حياة بين أقوام * وهو المحك لدى لبس وابهام

فانه شئ أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوى الالباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم)

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذى من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات

في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وروى في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطره وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكل شئ رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اذا قلت في شئ نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

وقال آخر

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابي أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفا فأبطأت عليه فقال لقائده أدنني حيث يمر فأقامه فمر فأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

اظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لنا برق وابطا رشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع * ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمي

لئن جمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلي أم ولد فأمر المنصور الربيع ان يعزيه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلي فقال المنصور وهو بالمدينة اني أحب أن أطوف الليلة المدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص

يا بيت عاتكة الذي اتعزل * حذر العداوبه الفؤاد موكل
اني لامنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لاميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير ان يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذي كان وعد به الهذلي فأنجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء أكرومة * تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

وقال آخر

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد * لا خير في وعد بغير تمام
أنعم على بما وعدت تكرما * فالمطل يذهب بهجة الانعام

وقال آخر

لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأوله جد وآخره شكر
وقد جمعت فيك المكارم كلها * فما لك عن تأخير مكرمة عذر

وقال آخر

وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام
يذكره سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام

وقال آخر

شكاك لساني ثم أمسكت نصفه * فنصف لساني بامتداحك ينطق
فان لم تنجز ما وعدت تركتني * وباقي لساني بالمذمة مطلق

وقال آخر

بات لوعدك عيني غير راقدة * والليل حى الدياجى منبت السحر
هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر

وقال آخر

نذكر بالرقاع اذا نسينا * ويأبى الله أن تنسى الكرام

وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائى وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها ان النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان فى يوم بؤسه فلما رآه الطائى علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لى صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهى فى حصول شئ من البلغة لهم وقد أقدمنى سوء الحظ على الملك فى هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال فى قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك ان يأذن لى فى أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصى بهم أهل المروأة من الحى لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك وأسلم نفسى لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائى الى شريك وقال له

يا شريك بن عدى * ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام

بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي * بضمان والتزام * ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو ان يكون الطائي فان لم يكن فامر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما اما أنت يا طائي فما تركت لاحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون انا ألأم الثلاثة الا واني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك فقال الطائي

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي * فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ مني الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله واناله ما تمناه * ومن ذلك ما حكي ان الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبي طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شئ من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله في زي الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط أهلها وداخل كبراءها واستملهم الى القاسم بن محمد العلوي واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوي واكشف لي باطنه وابحث عن دفين نيته واتني بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولي الامان قال نعم فأظهر له ما أراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أوتنصفني فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب علي وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولي خاتم في المشرق وخاتم في المغرب وأمري فيما بينهما مطاع وقولي مقبول ثم اني التفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا علي أفتدعوني الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت

بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل
من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فأخبره
بصورة الحال فسره ذلك وزاد فى احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ومما يعد من محاسن
الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم مارواه حمزة بن
الحسين الفقيه فى تاريخه قال قال لى أبو الفتح المنطقى كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو
يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر
ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من
نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان
يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان قد توفى فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم
قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والاخرى
عاتق فرجعنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسر فى الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا
وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر
أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا
قلنا لا فقال اعلموا انى مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة
رثة فوقفت عليه فنظر الى واستجلبنى وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا
كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب منى شيأ فأعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما
فرمى بهما لى وقال ابشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وازيدك أنت والله
تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى اذا صرت الى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم
فقال عاهدنى أنك تفى لى ولا يشغلك ذلك عن اعتقادى فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين
ثم انى شغلت عنه بما تجدد لى من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك
فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته فى المنام قد دخل على وقال لى أين الوفاء بالعهد الذى بينى
وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد فى احسانه الى
بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله اعلم * ومما اسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت
به الثقات فى الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الامثال فى الوفاء
بالاتفاق حديث السموأل بن عادياء وتلخيص معناه ان امرأ القيس الكندى لما أراد المضى
الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوى من المال جملة كثيرة
فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل
فقال السموأل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى أن يدفع اليه منها شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر
بذمتى ولا أخون أمانتى ولا أترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره
فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن
فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه
من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت الى الدروع
والسلاح التى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك

المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم أزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأدته منه في مدته ووقع له بهما ليكوناله ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبك قال يا امير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خراباتهم فابكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر وقيل اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على مامضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله أطلال الوفاء بكفه * فقد درست أعلامه ومنازله

وقال آخر

اشدد يديك عن الموت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمي كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي اشعار العرب وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله اني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة الي والاعناق نحوي متطاولة فاذا صار الأمر الي فلعلك أن تنقل الي ركابك فلأملأن يديك فلما افضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآني أعرض عني فقلت لعله لم يعرفني أو عرفني واظهر لي نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فأخذ بيدي وأدخلني عليه فمد الي يده وقال انك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الا ما رأيت فاما الآن فمرحبا وأهلا كيف كنت بعدي فاخبرته فقال لي أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ماهو بميراث وعيناه ولا أثر رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمت بها نفسي الى الموضع الذي ترى ماخنت ذا ودقط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه ان يرفع الله تعالى منزلتي وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له يا غلام بوئه منزلا في الدار فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلا حسنا فكنت في ألذ حال وأنعم بال وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ثم أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي ويقبل علي ويحادثني ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أي الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة أو الرجوع الى أهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين فارقت أهلي وولدي على اني

ازور

أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرني أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد في زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك أترانى قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى اذا وعد وعد اذا شئت صحبتك السلامة ومن ذلك ما روى عن أبي بكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبا بكار الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت في هذا والله قد اتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال أبو بكار ناشدتك الله الا ألحقتني به فقلت له ما الذي حملك على هذا فقال اغناني عن الناس فقلت حتى أستأمر الرشيد ثم احضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبي بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع اضممه اليك وانظر ما كان يجري عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد في يمينه قال لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال كان رحمه الله يفعل كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسلي فقال له المنصور ارجع يا شيخ فاني أشهد انك لوفي حافظ للخير ثم أمر له بمال فأخذه ثم قال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لاحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فكأنت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه * يحول بهذا القبر يافتيان
واني لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن ذلك ما روى عن نائلة بنت القرافصة بن الاحوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنهما ان عثمان لما قتل اصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجل مني قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء بني كلب ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف ألف وقال له انج بهذا فأخذ زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندي وديعة فأمهله حتى آتيك بها فقال أسرعي فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت الى السوق واتت الى قصاب فقالت اعطني شفرتك وخذ

هذين الدرهمين وأنا اردها عليك فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت اترانى بامدينة متزوجة بعد ما ترى فقال الآن طابت نفسى بالموت فجزاك الله من حليلة وفية خيرا ولنجعل لهذا الباب من القضايا ختاما هو اوجزها كلاما وأحسنها انتظاما وأبينها حكما وأحكاما وهى قضية جمعت الامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من خزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه ان احمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة واحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده ابا الجيش جاريه به فأخذه اليه فلما مات احمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى أنى آخذ العهد على كل من اصرفه فى شئ انه لا يخونني فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة الفلانية ففى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما رآياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله ان اخون الامير وقد احسن الى وأخذ العهد على ثم تركها واخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من احمد بعدما اخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للأمير فاقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائمة الغادرة العاثية العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما اعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة المجيدة السعيدة المسعدة الحامدة المحمودة الوسيمة الموصوفة الاليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب اضرابها وكانت تلك الجارية الأولى محسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودنى عن نفسى فلما سمع الامير ذلك

استشاط

استشاط غيظا وغضبا وهم في الحال بقتله ثم راوده حلمه وعقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه واحضر عنده ندماءه الخواص وادناهم لمجلس قربه واحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شيء ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الامير وأخذ منه الشراب شرع في التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة للأمير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فاخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما انفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير ابو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل ازمة جميع ما يتعلق به بيده فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمى من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد امضاء القواضب ويفضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده وقالوا ليس شيء أوفى من القمرية اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه)

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله

تعالى وما هو على الغيب بظنين أى بمتهم وفى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان امناء الاسرار أقل وجودا من امناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لأن أحراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشى به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور ان الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان اضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ما آمله ولو كتمه أمن من سطواته وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بمبد للرجال سريرتى * ولا انا عن اسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن أحسن ما قيل فى كتمان السر قول الشاعر

ولما سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بانها فى طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوى فقال

انى كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكا * فى حبها برشاده أوغيه
ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بأنها فى طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لا خير فى آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير فى انسان لا يمسك سره قال الشاعر

ومستودعى سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال قيس بن الخطيم

أجود بمكنون التلاد وانني * بسري عمن سالني لضنين

وان ضيع الاقوام سري فانني * كتوم لاسرار العشير أمين

وقال جعفر بن عثمان

ياذا الذي أودعني سره * لاترج أن تسمعه مني

لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجر في أذني

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أفشيت سري الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدري به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه على قال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم

وان عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فانا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن * وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه * وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا

ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندي له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل

ولا تودع الاسرار اذني فانما * تصب ماء في اناء مثلم

أو القائل

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تعلو على قلبي

وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي

اناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولله در المتنبي حيث قال

وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول)

(الفصل الاوّل في الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الاشياء عقوبة البغي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وكم أوقع الغدر في المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوّقه غدره طوق خزى فهو على فكه غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ما أحاطت به علوم ذوى الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدّى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذى نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذى بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرّا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية أو ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الىّ فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الا جزية أو ماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من

عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأي حوب أربح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طلب جعفر بن يحيى أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي الامين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي ان أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لاني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر وكان كذلك لم يتم أمره وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذي الاكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شئ ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت اي حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته

وأرسلت اليه تقول ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم اطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا اسقي الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة واعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره * وتقول العرب جزاني جزاء سنمار وهو أن ازدجرد بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مرى فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبني له جوسقا فامتثل أمره وبنى له جوسقا كأحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفوني أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني أحسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزاني جزاء سنمار * وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله * وعمرو ابن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه وقتله * وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدي عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبي عنهم * بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها
فتحت لهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديها وعز نصيرها
أقطع أرحاما علي عزيزة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الامر في مستقره * ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الامر الذي أستحقه * وأوسق أوساقا من الغدر عيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجؤها الى خباء اعرابي فاجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقي كما لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * أحاليب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

* وحكى بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب اخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه

فلما كبر فعل بشاتي ماترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قومي * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغي وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثاني في السرقة والسراق) قيل مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره وسرق مدني قميصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاءه فقال بكم بعته قال برأس المال وقال أكثل السلمي وكان لصا فاتكا

واني لأستحي من الله ان أرى * أجر حبلي ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدني بعيره * وأجمال ربي في البلاد كثير

وقال الفرزدق

وان أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة البجلي أخ قد كلف بابنة عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه اخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسري وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو اني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ونث رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فانشأ يقول

فلو أن لحمي اذ وهى لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذؤب
لهون وجدي أو لسلى مصيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكلب

وقيل لكسرى أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال

لانه اذا كان عاقلا كنت منه فى عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفى وبطن وقالوا اياك ان تعادى من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك فى لحافه وقال أبو العتاهية

نح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهى حبلى بالهجرس ابن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبى خالى وما أنا بالذى * أميل وأمرى بين خالى ووالدى
وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتنى حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

يا للرجال لقلب ماله جلد * كيف العزاء وثارى عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترنى ثأرت أبى كليبا * وقد يرجى المرشح للذحول
غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذى البتول

(بيت)

سن العداوة آباء لنا سلفوا * فلن تبيد وللآباء ابناء

ويقال داو عدوك لاحد أمرين اما الصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عنى رسولى * وهل تلقى النصيح بكل واد
تعلم ان أكثر من تناجى * وان ضحكوا اليك هم الاعادى

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج لخارجى والله انى لابغضك قال ادخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فانكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت فى اخلاقهم ما علمت فقال ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض فى الناس فقال أواه لك أبنى هرمز فقد قيل اذا كان فى الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة فى الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض فى الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وفى المعنى قيل

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبى حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ اثقل من الدين واكلت

الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وانا أقول لونزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين في نسب أو مجاورين في بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السلام أي شئ كان عليك في بلائك أشد قال شماتة الاعداء وأنشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن ابي جهينة المهلبي

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ما جئته * ان البغايا من بني مرام
اطهرن في موت النبي شماتة * وخضبن أيديهن بالعلام
قطع هديت أكفهن بصارم * كالبرق أومض في متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعة الا في سقوط حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * أقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

(بيت مفرد)

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسيء فيجلب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله في الماضين تكفينا
كاد الاعادي فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن في سر وفي علن * على مقالتنا يا ربنا اكفنا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

(الفصل الرابع في الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال اعرابي الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث

قاتل الله الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل ان يصل حسده الى المحسود أولا هاغم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم احتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان واتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال اين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل قال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فاعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بان له أياما ما ظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فاخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لى به علم وانما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء واجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شئ الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي متسخط لفعلي غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي

قال الشاعر أيا حاسدا لي على نعمتي * أتدري على من اسأت الادب
أسأت على الله في حكمه * لانك لم ترض لي ما وهب
فاخزاك ربي بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعي رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا الابحلوا السيد من ود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضي الله عنه الا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقي الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة * رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقال آخر

اصبر على حسد الحسود * فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

اني حسدت فزاد الله في حسدي * لا عاش من عاش يوما غير محسود

وقال نصر بن سيار

اني نشأت وحسادي ذوو عدد * يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
ان يحسدوني على ما بي لما بهم * فمثل ما بي مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضي الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس ما بال الحسود اشد غما قال لانه أخذ نصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الاربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان)

(الفصل الاول في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة البأس) قد أثنى الله تعالى على الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأي في الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم في سبيله أو قطرة دمع في جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم

السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم ان عليك عونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود رفعه ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه فلما كان يوم احد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فاعرفت أخى الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين احسنوا فلهم الحسنى وزيادة

(الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها) اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله فى ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادى هل من مبارز والثانى اذا انشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لاموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجى الضعيف ويعدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع اقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدى ابو بكر الطرطوشى رحمه الله تعالى عليه فى كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا فى بلادنا انه لما دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة خوذة قدر الثلث بما حوته من الرأس فقالوا انه لم يرقط ضربة اقوى منها ولم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها فى كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا اقواما هذا ضربهم فيرحل ابطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا فى تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها أشياء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبى صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وأفضل العدة ان تقدم بين يدى اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهى عن منكر وامثال ذلك والشان كل الشان فى استجادة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغى أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والا رد الغنم الى الزريبة واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغى للعاقل العظيم القواد أن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن نغر وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء * وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن * ومن الحيل فى الحرب أن يبث جواسيسه فى عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم ويعدا جميلا ويقوى أطماعهم فى نيل ما عنده من الهبات العظيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمى بها فى جيوشهم واعلم ان الحيلة لا ترد القضاء والقدر وان الدول اذا زالت صارت حياتها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى فى حلول البلاء كانت الآفة فى الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب فى الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى بقاء مدته فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الأبطال فى القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب

الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فافلح اوتراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حب الى عدوك الفرار بان لا تتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى امه * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتي ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصرة خالقي * وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فانشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد اغاداك اذا حاربنا اكفاءنا وأما مثل هذا ونظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه * وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فاهويا نحوه وأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم * وقيل لم يكن في العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال في أي موضع تريدين أن أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث وأناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن ببندقة ثم أهوى الظبي برجله الى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه * ويقال ان من أعظم المكايد في الحرب الكمين وذلك ان الفارس لا يزال على جمة في الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما ترى فيه العجب فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصراني على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من آل الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن روميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لي من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد تسعة رجال فقال له انظر من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ما أبغضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحد هم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا

هذا خذله ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن فى خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوى على أربعين ألف مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد فى أبطاله رجل واحد *(وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضى أبا الوليد يحى قال بينما المنصور بن ابى عامر فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤا السهل والجبل ثم التفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفى فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور وما ترى هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المصحفى فقال له المنصور ماسكوتك أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوأ حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل للمنصور مالها الا ابن المصحفى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرت اوراكها زالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن المصحفى ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد قال أريد أن تكفى المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هناك واذا برأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى الرأس بين يدى المنصور فقال له ابن المصحفى عن هؤلاء الرجال اخبرتك قال فرد ابن المصحفى الى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين *(وحكى)* انه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى أن الرومى كان اذا

سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون فى الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس من المسلمين فجا ولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادى ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين ان يخرج اليه وبقى الناس فى حيرة فقيل للسلطان ما لها الا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال ها هو بعينى قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفى المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فتعجب منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لا شئ منه فى السرج ثم انقلب فى سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد بن فتحون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الانعام عليه ورده الى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغى لقائد الجيش ان يخفى العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كى لا يلتمس عدوه غرة منه واذا سكن الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشى خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر الب أرسلان ملك الترك ملك الروم وقمعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدرك لهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب ارسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا الالب ارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة

الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فأمر الب ارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء فى الثور الاسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالوا وتناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا الالب أرسلان بسم الله نحمل عليهم فقال الب ارسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان الب ارسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلى ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدى الب أرسلان والحبل فى عنقه فقال له الب ارسلان ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى قال وهل تشك أننى كنت أقتلك فقال له الب ارسلان أنت اقل فى عينى من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل فى عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذى ينادى عليه وأخذ الكلب وأتى بهما الى الب ارسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد انصفك ان الكلب خير منه ثم أمر الب ارسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار فانظر ماذا يأتى على الملوك اذا عرفوا فى الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

(الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن)

(الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام) ❁ حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله قتل فى غزاة أحد رماه وحشى مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبى صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه فى الصلاة سبعين تكبيرة ❁ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه آية من آيات

الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيدا بالتأييد الالهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روي عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف كنت تقتل الابطال قال لاني كنت ألقى الرجل فاقدر أني أقتله ويقدر هو أني قاتله فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي الله عنه حذرا في الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا مكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه ان أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنة الله تعالى عليه غدره وهو في صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق اسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وامة وان تقتل علي بن أبي طالب فقال لها لك ماسألت الا علي بن أبي طالب وكيف لي به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المخذم
فلا مهر أغلى من علي وان علا * ولا فتك الادون فتك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس وذلك في تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين كفن رضي الله عنه في ثلاثة أثواب ودفن في الرحبة مما يلي باب كندة من ابواب المسجد قالوا ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأومأ علي رضي الله عنه الى المغيرة أن صل بالناس فصلى بهم الفجر واقبلت همدان فدخلوا على علي فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسن رضي الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم واني أحتسب عند الله عز وجل مصابي بأفضل الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته في فانها أعظم المصائب والله الذي لا اله الا هو الذي أنزل على عبده الفرقان لقد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الاولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد دخلت مصيبته اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض في الليلة

التى رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع ابن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية وسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما لاهله الا ان أمور الله تعالى تجرى على أحوالها فما أحسنها من الله وأسوأها من أنفسكم الا ان قريشا اعطت ازمتها شياطينها فقادتها باعنتها الى النار فمنهم من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اظهره الله تعالى عليه ومنهم من اسر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى فى كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به عاهدت الله تعالى على ان أقتل أباك وقد قتلته فان تخلنى أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدى على يدك وان أقتل فهو الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه أما والله لا سبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله ❊ ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة فى الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشى لا نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لا ترعبونا بالسيوف المبرقه * ان السهام بالردى مفوقه
والحرب دونها العقال مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه ❊ الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته بطل شجاع لا يمارى وشهم لا يجارى قتله عمرو بن جرموز اغتاله وهو فى الصلاة ❊ عمرو ابن معديكرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضى الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمرو أى السلاح أفضل فى الحرب قال فعن أيها تسأل قال ما تقول فى السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول فى الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول فى السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عرفنى القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم

والله ما نظن انكم تدركونه حسا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فعار وشب فصرعني ويروى انه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند في وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

اذا مات عمرو قلت للخيل اوطئي * زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

* طلحة الاسدي رضي الله عنه كان من أكابر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جماعة عظيمة فقاتل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب القادسية وغيرها من الفتوح * المقداد بن الاسود رضي الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوي الجنان رابط الجأش وله في الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضي الله عنه وأرضاه * سعد بن أبي وقاص الزهري الانصاري رضي الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى في سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف انفه * أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه الذي خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها المشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف في حرب القادسية * عمار بن ياسر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر انه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع علي رضي الله عنه * هاشم بن عتبة رضي الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية علي رضي الله عنه بصفين * مالك بن الحرث النخعي الاشتر رضي الله عنه مات مسموما في شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل في عشية القادسية رضي الله عنه (الطبقة الثانية) عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذي كان يرى انه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة صف لي عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع قتله الحجاج بعد ان حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصامه الحجاج ألا الى الله تصير الامور * أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية رضي الله عنه كان أبوه يلقيه في الوقائع ويثق به العظائم وهو شديد البأس ثابت

الجنان قيل له يوما بال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يقحمك الحرب دون الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقي عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضي الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وباليسرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه في الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف انفه بشعب رضوى * عبد الله بن حازم السلمي رضي الله عنه والي خراسان شجيع مضر وفارسها في عصره قتله وكيع بن أبي سويد بخراسان في الفتنة * وكيع بن أبي سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والي خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لوجهه مات حتف انفه * مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبيد الله بن زياد في الحروب التي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمي فارس الاسلام قتله بنو تغلب في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بني أمية وفارسها وواليها قيل انه جلس يوما يقضي بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت اقل حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها اثر تسع طعنات فقال لها هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أثرت رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن وما منعني من تأخيرها الا الحياء وأنت تجعليني قليله * المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن في بني العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن ابي داود كان المعتصم يقول لي يا أبا عبد الله عض على ساعدي باكثر قوتك فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك فيقول انه لا يضرني فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الاسنان وقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا في العنق * ابراهيم بن الاشتر النخعي كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو في أربعة آلاف وعبيد الله في سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر الجعفي شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار في الشجاعة مشهورة * جحدر بن ربيعة العكلي كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فتية من بني حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الامير قال ما جرأك على ما بلغني عنك قال أصلح الله الامير كلب الزمان وجفوة السلطان وجرأة الجنان قال وما بلغ من أمرك قال لو ابتلاني

الأمير وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر اني قاذف بك في حاجز فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فامر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قدافنى عامة المواشى فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه في تابوت وحموه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقى في الحاجز ولم يطعم شيأ ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزلوه اليه فاعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الاسد ماهو صانع بجحدر فلما نظر الاسد الى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتاعت أهل الارض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث في مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وسفك * وصولة وبطشة وفتك

ان يكشف الله قناع الشك * فانت لى في قبضتي وملكي

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فاخرج من الحاجز وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما ان نأذن لك فتلحق ببلادك واهلك على ان تضمن لنا ان لا تحدث بها حدثا ولا تؤذى بها احدا قال بل اختار صحبتك أيها الامير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث ان ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب بن أبى صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم أنجاد أبطال الا ان المغيرة من بينهم كان أشدهم كان المهلب يقول ماشهدمعى حربا الا رأيت البشرى في وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفي يده شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبد الله بن معمر مالقى خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط في كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب في الحروب مكايد مشهورة ووقائعه ابادت الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف انفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الاعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه فمنهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم ألفين * وشبيب الخارجى الذى غرق في الفرات نذرت امرأته غزالة ان تصلى في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في الاولى البقرة وفي الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وادخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرتها والحجاج في الكوفة في جيش ألفا * ومنهم قطرى بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه وبجلوه وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها قتل في بعض وقائع الخوارج

(الطبقة الثالثة) معن بن زائدة الشيبانى قتله الخوارج بسجستان في أيام المهدى * الوليد

ابن

ابن طريف الشيباني قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يتصيد فتتبع حمار وحش ومازال يركض الى ان حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق في غيره طعن فارسين رديفين فانفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيأ فقال له أتسأل وجدك القائل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا لنلهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

فخرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه في طريقه الا وكيل لابي دلف ومعه مال جزيل فاستلمه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فاني علمته على نفسي * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة

(ومما جاء في مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير في السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ما خانني يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

خليلي لم أخنه ولم يخني * اذا ما صاب أوساط العظام
خليلي لم أهبه من قلاه * ولكن المواهب للكرام
حبوت به كريما من قريش * فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفي صفي نفسي * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بني مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه فجد الهادي في طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان في يمين يماني

وقال ابن الرومي

لم أر شيأ حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف
يقضي له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

وقال زيد بن علي رضي الله عنهما

السيف يعرف عزمي عند هزته * والرمح بي خبر والله لي وزر
انا لنأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تأمله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر

بيت ضجيعي السيف طورا وتارة * تعض بهامات الرجال مضاربه

أخو ثقة أرضاه في الروع صاحبا * وفوق رضاه أنني أنا صاحبه
وليس أخو العلياء الافتى له * بها كلف ما تستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له رده على فانه السيف الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقال الاجدع الهمداني

لقد علمت نسوان همدان أنني * لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل في الهيجاء وجهي وانني * له في سوى الهيجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون ألف فتى ما منهم أحد * الا كالف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوأة أملا * ففرغوها وأوكوها من الأجل

(ومن أخبار الشجعان) ما حكاه الفضل بن يزيد قال نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب ان أسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم اذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله في حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أي بني وهو يتبسم في وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت أنظر اليهما فقالت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل ان أضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو الا ان صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحي الخيلاء فأخذ في قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق ان نزلنا بمنهل من المناهل بين احياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثارلهم وشاء الله تعالى ان أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا ان ادبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الا هنيهة حتى احرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألني عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر

اشفاقا

اشفاقا عليه وضنا به حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقال كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم ونادا هم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به اولا هلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقدرفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجابه فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا وكيوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى هذه الابيات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كأنه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه * من السمهرى اللدن والمرهف العضب
انا ابن ابى هند بن قيس بن مالك * سليل المعالى والمكارم والحسب
ابى لى أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده الـ * ـجبال الرواسى لانحطن الى الترب
وعرض نقى أتقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب
فان لم أقاتل دونكن وأحتمى * لكن وأحميكن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين الى أبى * يهنئنه بالفارس البطل الندب

وقال الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقال آخر

فوارس قوالون للخيل أقدمى * وليس على غير الرؤس مجال
بأيديهم سمر العوالى كأنما * تشب على أطرافهن ذبال

وقال آخر

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أوجارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

(ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم) قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل

وأعوذبك من الجبن والبخل وأعوذبك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال في وصف الجبان ان أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان في قارع اطم مع النساء يوم الخندق فاتاهم في ذلك اليوم يهودي يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه فانه ما منعني من سلبه الا انه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة * وقيل كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدري أين هي وبلغ الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادي برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث أن أتى له بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس الي فاخترت لك ابن عمي شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت قال هاتي ولا تخفي شيأ قالت كنت للفتى القرشي فاحتاج الى ثمني فحملني الى الكوفة فلما قربنا منها دنا مني فوقع علي فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل علي وما برد ما عنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام الي فلما علا بطني وقعت فارة من السقف فضرط ثم غشى عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمني به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به أحدا قالت على ان لا تردني اليه قال لك ذلك * وحدث جار لابي حنيفة النميري قال كان لابي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا في داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذي سمعت به اخرج بالعفو عنك قبل ان أدخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا * وخرج المعتصم يوما الى بعض

متصيدا انه ظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفلك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان * ورأى الاسكندر رجلا سماه لا يزال ينهزم فقال له يا رجل اما ان تغير فعالك واما ان تغير اسمك * ووقع في بعض الغزاة كرّ فجمة فوثب خراساني الى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فنا صيتك كيف طالت * وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمّه ابن أبي زياد فقال لأن يذمني ابن أبي زياد حيا أحب الي من ان يمدحني ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك يقول بعضهم شعرا

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز

وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنازل منهم كل ليث مناهز

ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول)

(الفصل الاول في المدح والثناء) المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها ويكون نعتا حمدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا في وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ في الرد عليه والثاني كأنه يقال له بكفك التراب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الديلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي أمّره عمر رضي الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقوله يا سارية الجبل فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضي الله عنه قوله

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

ولما حججت وزرته صلى الله عليه وسلم تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكي من جلتها

يا سيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمي بحماكا
والله يا خير الخلائق ان لي * قلبا مشوقا لا يروم سواكا
وبحق جاهك انني بك مغرم * والله يعلم أنني أهواكا
أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا
أنت الذي من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذي لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذي ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذي فينا سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذي لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك في القيامة مرتج لنداكا
والانبياء وكل خلق في الورى * والرسل والاملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكى
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد لباك حين أتاكا
والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لنداكا
والماء فاض براحتيك وسبحت * صم الحصى بالفضل في يمناكا
وعليك ظللت الغمامة في الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك في الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من أمراضه * وملأت كل الارض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما * جرحا شفيتهما بلمس يداكا
وعلي من رمد به داويته * في خيبر فشفي بطيب لماكا
وسألت ربك في ابن جابر بعدما * قد مات أحياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لام معبد بعدما * نشفت فدرت من شفا رقياكا
ودعوت عام المحل ربك معلنا * فانهل قطر السحب عند دعاكا

ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين ندا كا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هنا كا
أعداك عادوا فى القليب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجفا كا
فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعدا كا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافا كا
هود ويونس من بهاك تجملا * وجمال يوسف من ضياء سنا كا
قد فقت يا طه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذى سوّا كا
والله يا ياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نبا كا
عن وصفك الشعراء يا مدثر * عجزوا وكلوا عن صفات علا كا
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلا كا
ماذا يقول المادحون وما عسى * أن يجمع الكتاب من معنا كا
والله لو أن البحار مدادهم * والعشب أقلام جعلن لذا كا
لم تقدر الثقلان تجمع درة * ابدا وما اسطاعوا له ادرا كا
لى فيك قلب مغرم يا سيدى * وحشاشة محشوة بهوا كا
فاذا سكت ففيك صمتى كله * واذا نطقت فمادح علياكا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى الا كا
يا مالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغنا كا
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى * جد لى بجودك وارضنى برضا كا
أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سوا كا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا مستمسكا بعرا كا
ولأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا بجماك نال وفا كا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لوا كا
صلى عليك الله يا خير الورى * ماحن مشتاق الى مثوا كا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والا كا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه * وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أنى حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك

*وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاة الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لا يذم بلد أنت تأويه ولا يشتكى زمان أنت فيه وكان الحجاج يستثقل زياد ابن عمرو العكلى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لأخ أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لابى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

وقال أوس فى حاتم الطائى

فان تنكحى ماوية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

وقال ابن جدون فى آل المهلب

* آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
* شاد المهلب ما بنى آباؤه * وأتى بنوه ما بناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
انى لأرجو ان لقيتك سالما * ان لا أعالج بعدك الاسفارا

وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم

يا آل هاشم الاله حباكم * ما ليس يدفعه اللسان المفصل
قوم لاصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبى المرسل

وقال الحسين بن دعبل الخزاعى

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود فى أمواله * وأطاع أمر الله فى أحكامه

وقال آخر

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
واذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتني الاعداء ان لم تنحرى
وقال شاعر بني تميم
اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أناروا
يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بني تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار
وقالت امرأة من بني نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذي يقول
لعمرى ما رماح بني نمير * بطائشة الصدور ولا قصار
قالوا زياد الاعجم قالت أشهدكم ان له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل
فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحات
اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى
المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل
مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هانئ
اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى
وله فى الفضل بن الربيع
لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا
وقال زياد الاعجم فى محمد بن القاسم الثقفى
ان المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب سورة سودد من مولد
ومن بدائع مدائح المتنبى قوله
ليت المدائح تستوفى مناقبه * فما كليب وأهل الاعصر الاول
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل
ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فاعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم
يستطع ان يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان
أحدكم يأتينا ممتدحا فيتغزل فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره
وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال
انى أمنت من الزمان وصرفه * لما عقلت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فانشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الامير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ماصنعوا قال أنشد فانشده قصيدته التي منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فما فاته جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب اهاطربا وأمر له بالف دينار ووصيف ووصيفة (وحكى) أن أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للاخرى هذا ابو دلف قالت نعم الذى يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبودلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبودلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبودلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخي تبكى فقال لانى لم أقض حق الذى قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله مافى نفسى حسرة الا لكونى لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

*وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن حيوش محمد بن نصر صاحب حلب فاجازه بالف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بالف تصرمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمدانى انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لوكان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لولم يخن والشمس لو نطقت * والليث لولم يصد والبحر لو عذبا

وقال آخر

أخو كرم يقضى الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم للجباه الراغبين لديه من * مجال سجود فى مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود دود خيله ورميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف بطهو جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواصله ان طلبت كريما فى جوده مت قبل وجوده أو ماجدا فى أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاحجام عار الا تمحوه الايام له خلق لو مازج

البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد فى الايام وأبهج من نور البدر فى الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتتة فى مودته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كأنما أوحى التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يبعث بالكلام ويقوده بأالين زمام حتى كأن الالفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره والمعانى تتغاير فى الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر أو أيبس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشا وشى واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الايام وباهت فى عينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعده * ما صار نحس فى نجوم سمائه

وقال آخر

ووجهك بدر فى الغياهب مشرق * وكفك فى شهب السنين غمام
عجبت لبدر لا يزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الاسدى

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم *
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الارض معدم

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

والله ما عجبى لقدرك انه * قدر على بانى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

ولصفى الدين الحلى

أثنى فتثنينى صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو انى والخلق جمعا ألسن * تثنى عليك لما قضينا الواجبا

وللشيخ برهان الدين القيراطى

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر فى الافق
كأحاديث الندى عنكم * تسندها الركبان من طرق

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

روت عنك أخبار المعالى محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

وقال غيره

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولابى فراس بن حمدان

لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

وقال آخر

ان الهبات التى جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازلت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مختصر

ولمحمد بن مناذر فى آل برمك

أتانا بنو الاملاك من آل برمك * فيا طيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة فى كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنور
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود اكفهم * وأقدامهم الا لسعى مظفر
اذا رام يحيى الامر دلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فاغيثوا بك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا * وحرمناك بذنب قد سلف
ياأبا اسحق سر فى دعة * وامض مصحوبا فما منك خلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

وقال آخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فأنتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الاسدى فى المهدى

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم * ما كان فى الناس الا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة * فى السود طرا اذن لابيضت السود

وقال آخر

أوليتنى نعما وفضلا زائدا * وبررتنى حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ما كنت الا راكعا لك ساجدا

وقال آخر

ثناؤك فى الدنيا من المسك أعطر * وحظك فى الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والانامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر
أعيذك بالرحمن من كل حاسد * فلازالت الحساد تغبى وتصغر
لسانى قصير فى مديحك سيدى * لانى فقير والفقير مقصر

(الفصل الثانى من هذا الباب فى شكر النعمة) أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل عن أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أى أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتنى وفى هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر ولمحمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث وروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر * وأما الشكر الذى على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يارسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبى حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته وفى حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا انه قد أخل بالشكر اما انه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لو

صدق السائل ما افلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعى الى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فاعتق رقبة شكرا لله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم ويروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبي الله أنا على قدري أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أني أجلك لسألتك أن تنزع مني ما أعطيتني وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك وقال علي رضي الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة في المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضي بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر

ولو أن لي في كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروى اذا احدث الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الاعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فتدافعته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لأشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال

وقال أبو فراس بن حمدان

ومانعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذى شكر تمانعنى أخرى
سآتى جميلا ماحييت فاننى * اذا لم أفد شكرا أفدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذى صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلمة يا فخر كل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكره له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم انى أنعمت على بنى سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن على ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء آخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل رجلا اعرابيا خيرا فقال لا أبلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكر لا أنى أجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يزادلك الشكر
وأذكر أياما لدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال آخر

أولیتنى نعما أبوح بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأسرها
فلأشكرنك ماحييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

وقال آخر

أيا رب قد أحسنت عودا وبدأة * الى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر

وقال محمود الوراق

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا